15em Année No. 782

Lundi — 14 — 7 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٦٦ — ١٤ يوليو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

٣ ـ رحلة إلى الهــــند

اليهود فى المؤتمر الآسيوى

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

كان بين وفود المؤتمر وفد من اليهود فيه ثمانية رجال وامرأتان . ليس بينهم من ولد فى فلسطين أو نشأ بها إلا رجل وامرأة ...

وقد رأى ممثلو مصر والجامعة العربية أن يكونوا لهم بالمرصاد حتى لا يتخذوا من المؤتمر فرصة لنشر دعوتهم ، وتزيين أباطيلهم فعملنا على أن يعرف المؤتمرون أنهم لا يمثلون فلسطين . فقال مندوب الجامعة العربية فى كلته إنه يمثل دول الجامعة ، وإن لم يكن فى فلسطين دولة فممثل الجامعة العربية يمثلها . ثم ذهبنا إلى رئيسة المؤتمر فقالت إنها تعرف بأن هؤلاء اليهود إنما يمثلون الجامعة العبرية ، وأن فلسطين إنما يمثلها مندوب الجامعة العربية . وقالت إنها أمرت أن يسجل هذا فى سجلات المؤتمر . وأعربت عن حبها العرب وإعجابها بهم ...

وكذلك حرصنا على أن نرد على اليهود كل كلة يتحدثون فيها عن حقوق لهم فى فلسطين أو أعمال لهم فيها ...

وقد نشروا فى بعض جرائد الهند مقالات عن صلتهم بآسيا ومكانتهم فى فلسطين فنشرت بالإنكليزية كلة وقعتها أنا ومندوب الجامعة العربية هذه خلاصتها بالعربية .

اطلعنا على بيان فى الجرائد نشره بعض اليهود المشتركين فى مؤتمر العلاقات الآسيوية . وقد حاول ناشرو البيان أن يحرفوا الحقائق ، ويصوروا فلسطين بغير صورتها .

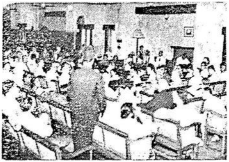
قالوا : « إن الأوربيين يكرهون اليهود لأنهم يمثلون روح آسيا ، وأن الأوربيين فى بغضهم اليهود إنما يعربون عما يكنونه من الكراهة والاحتقار للأمم الآسيوية التى يمثلها اليهود »

والحق أن هؤلاء المدعين أنهم من آسيا وأنهم يمثلون روحها إنما جاءوا إلى فلسطين أوشاباً من أمم أوربيـة مختلفة لا يحملون روح آسيا ولكن يحملون كل ما فى الروح الأوربى من بغى وعدوان وظلم ، فما هم إلا جماعة أوربية تحاول اغتصاب قطر آسيوى

ويزعمون « أن العرب استفادوا كثيراً من أعمال اليهود فى فلسطين »

ونحن لا نريد أن نفصل اليوم ما أصاب العرب على أيدى اليهود الوافدين على بلادهم ، وحسبنا أن نقول إن أعمال اليهود هناك تقصد إلى أن يحولوا العرب من سادة فى بلادهم إلى عبيد ، ومن ملاك إلى عمال لا يملكون شيئاً . وكل أمم الأرض تعرف حرص اليهود على أن ينفعوا أنفسهم وقلة مبالاتهم بمنافع غيرهم ، فإن ظن اليهود أن لهم على العرب فضلاً فالعرب فى غنى عن هذا

الفضل ، وأعظم فضل لديهم أن يتركهم اليهود أحراراً فى وطنهم وأن يحرموهم من هذه النعم التى يمنون بها .



الدكتور عبد الوهاب عزام يتكلم فى اللجنة الثقافية

ويقول أصحاب البيان :

« إنه ليس بين اليهود فى فلسطين حتى جماعات الإرهاب ، من يريد أن يسلب العرب بلادهم »

فإن لم تكن هجرة اليهود إلى فلسطين الصغيرة أفواجاً تضيق بها البلاد ، وإصرارهم على أن تستمر الهجرة حتى تكون لهم الكثرة فيها ، ومحاولتهم أخذ الأرض من العرب بكل وسيلة ظاهرة وخفية — إن لم يكن هذا سلباً لبلاد العرب فكيف يكون سلب البلاد من أيدى أهلها . إن دعوى اليهود أنهم لا يريدون أن يحلوا محل العرب فى أرضهم لا قيمة لها ما دامت أعمالهم تكذب هذه الدعوى تكذيباً صريحاً بيناً لا خفاء فيه ، ما ذا يقصد إذن بهذه الهجرة التى يصرون عليها بكل الوسائل وهم يعلمون أن فلسطين مزدحمة بأهلها وقد رمى إليها اليهود نصف مليون زادوها ازدحاماً ثم هم لا يكفون عن الهجرة ؟ ألهذه الهجرة غرض سوى غلبة العرب على أرضهم ، وإخراجهم من ديارهم ؟

إنهم بتجارتهم وصناعتهم ، وهى لخير اليهود وحدهم ، يبغون أن تكون لهم الكثرة فيتسنى لهم بهذا وذاك أن يسيطروا على البلاد . ثم هم مع هذا يزعمون أنهم محسنون إلى العرب .

ينبغى أن نذكر اليهود بتاريخ العرب — وهم بسجاياهم أحرار كرام لا يستعبدون ولا يستعبدون ، ولا يبخلون أن يشركوا الناس فى خيراتهم — هؤلاء العرب كانوا على مر العصور حماة اليهود . لجأ اليهود إلى ظل العلم العربى حيثما كان . وقد دخلوا إسبانيا فى كنف العرب ، فلما أخرج العرب منها خرجوا ، ويوم قامت للعرب دولة فى فلسطين كان اليهود مشردين فى الأرض وكانت معابدهم مزابل ، فطهر العرب معابدهم ، ومكنوهم أن يرجعوا إلى فلسطين ، وأن يعيشوا أحراراً فى رعاية العرب وسماحة الإسلام . وهكذا أحسن العرب إلى اليهود على مر العصور واختلاف الأقطار . فلما رأى اليهود المحن تتوالى على العرب ، والمصائب تحيط بهم بأيدى الأوربيين جاءوا فى ظلال الأعلام الأوربية باغين على بنى عمومتهم ، ناسين كل فضل لهم ، يجزونهم شر الجزاء بما أحسنوا إليهم كل الإحسان . لقد جاءوا معتزين بوعد بلفور ليكونوا أعواناً لأعدائهم على أصدقائهم . فخسروا آخر صديق لهم على وجه الأرض ، إنهم لم يأتوا إلى فلسطين بروح الآسيوى المعترف بالفضل ، المقر بالحق ، المؤثر للعدل ، بل جاءوا فى ظلال الأعلام الأوربية أعواناً لبغى أوربا يجدون فى ضعف العرب فرصة ليسلبوهم أرضهم وديارهم ، ثم يدعون أن الأوربيين يكرهونهم لأنهم آسيويون حملوا إلى أوربا روح آسيا .

وقال أصحاب البيان آخراً : « إن يسيراً أن نجد الحل السلمى الملائم » ...



نهرو قائما للخطابة وغاندى قاعدا وبجانبه عبد الغفار خان الذى يسمى غاندي الحدود

نعم نحن نعرف الحل العادل الملائم . وقد دعونا إليه ونادينا به واقترحته جامعة الدول العربية فى مؤتمر لندن . هذا الحل هو أن يعيش الناس فى فلسطين كما تعيش الأمم كلها فى هذا العصر . وأن تكون فلسطين لمن فيها اليوم ، ويكف سيل الهجرة المتدفق ويعيش العرب واليهود على النظم الديمقراطية التى تسيطر على العالم كله . يقبل العرب هذا ويتجاوزون عن كل ما وقع ، ويعدون اليهود الذى هم فى فلسطين اليوم وقد جاءوا إلى البلاد فى السنوات

الأخيرة من أقطار أوربية مختلفة — يعدون هؤلاء الأوربيين المتدين المغيرين شركاء لهم فى فلسطين ، وَيَقْبلون أن يقيموا معاً دولة على أسس ديمقراطية .

فهل يقبل اليهود هذا ؟ كلا إن الحل السلمى اللائم عندهم أن يوالوا الهجرة إلى فلسطين بغياً وعدواناً حتى يكثروا العرب ، ثم يقيموا بكثرتهم دولة يهودية كما يشاءون . هل هذا حل سلمى؟ كلا إنه الوسيلة لزلزلة السلم فى الشرق الأدنى ، وإشعال الفتن والحروب فى هذا القسم من العالم بل فى آسيا والعالم كله ...

إن خيراً لليهود أن يعدلوا عن هذه المطامع الظالمة ، ويعترفوا للعرب بحقهم الحاضر وفضلهم الماضى ، ويعيشوا فى سلام وأمان فى رعاية العرب فى فلسطين وغيرها » .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

هـــــذه بلادنا

للأستاذ محمود محمد شـــاكر

هذه بلادنا : العراق ، وسورية ، ولبنان ، وفلسطين وشرق الأردن ، وجزيرة العرب ، واليمن ، ومصر والسودان ، وبرقة ، وطرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش — هذه بلاد العرب التى ينطق أهلها اللسان العربى ويدين أكثرهم بالإسلام ، فهى من أجل ذلك جبهة واحدة ممتدة من الشرق إلى الغرب ، وتملأ رحابها أكبر قارة على وجه هذه الأرض . وهى جميعاً أرض بكر لم ينبش العلم ذخائرها المدفونة تحت ثراها الغنى ، ولم تنل يده إلا قليلا مما تغله أرضها من حيوان ونبات ، ولم تنفطر روحها بعد عن الإنسان الجديد الذى انساح فيها من قبل يوما ما ، فملأها عدلا وكانت ملء جنباتها ظلماً وعدواناً وبغياً وكفراً بالله ثم بالطبيعة البشرية المطهرة من أدران الحقد والأثرة والجشع وقلة الإنصاف .

فلنلق نظرة عليها جميعاً بلداً بلداً ، لنرى ماذا فعل الله بأهلها ، وماذا كتب عليهم ، وماذا قدر لهم .

فالعراق أغنى مشارف الجزيرة العربية وأكرمها تربة ، وقد نزلت عليه بريطانيا محتلة وسامته الخسف سنين حتى عقدوا معه معاهدة لم تمنع بريطانيا من التدسس بسلطانها إلى جميع مرافقه ، فهو لا يستطيع أن يؤدى حق أرضه عليه كما يجب ، وسلطان بريطانيا هناك سلطان جائر عنيف لا يزال كما كان على أول عهد الاحتلال ، ويخشى أن يزداد فيه سلطانها وسلطان شريكتها ووارثتها أمريكا ، بما جد من شئون النفط والبترول وما إليهما .

وأما سورية ولبنان ، فقد جلت عنهما فرنسا جلاء تاماً على أثر الأحداث العالمية التى جاءت مع الحرب الماضية ، فاستردتا استقلالهما بغير قيد ولا شرط . ولكن يخاف عليهما ما يخاف على سائر البلاد العربية من تسرب السلطان البريطانى والسلطان الأمريكى ، وطغيان هذا السلطان بالضرورة الملحة الملزمة ، إذا قدر لهما أن تظلا محاطتين من جميع النواحى بالمواقع التى فيها لهذا السلطان أثر قوى .

وأما فلسطين ، فهى الأرض المظلومة المضطهدة التى أراد بنى بريطانيا وأمريكا أن يجعلاها وطناً لأعوانهم من نسل إسرائيل ، ومعنى ذلك أن تصبح فلسطين كهف الجشع البريطانى الأمريكى ، يعمل له وفيه جيل من خلق الله الذين عرفوا بالخسة وقلة المبالاة وعدم الورع فيما يأتون وما يذرون ، وهم ولا ريب يؤيدون سياسة بريطانيا وأمريكا فى فرض سلطان القوة وسلطان المال على هذه البقعة من الأرض المقدسة ، وعلى كل مكان آخر يحيط بها من قريب أو بعيد .

وأما شرق الأردن ، فقد كفتنا المعاهدة التى عقدت بينه وبين بريطانيا أن نقول فيه قولا يصفه بأفضل مما وصفته هذه المعاهدة ، وهو أنه أرض بريطانية فى قلب البلاد العربية .

وأما جزيرة العرب ، فقد تدفق عليها سلطان بريطانيا وأمريكا من كل مكان ، لأنه فرض أن آبار البترول تكاد تكون حقاً خالصاً لهما ، يدفعان فى سبيل أخذه مالا قليلا زهيداً ، ثم ينقلانه إلى بلادهما ليكون ذخيرة من ذخائر القوة التى تحرك الآلات ، وتنتج المصنوعات وتمد أمريكا وبريطانيا بكل أسباب القوة والغلبة فى هذه الدنيا الجديدة التى لا حظ فيها إلا للقوى الغاصب . واستقلال جزيرة العرب أصبح اليوم مهدداً بتغلغل نفوذ ملوك البترول الذين يخدمون ولا شك سياسة بلادهم على أى وجه كانت هذه السياسة .

وأما اليمن فالبريطانيا هناك بعض السلطان ، ويخشى بعد قليل أن يتدسس إليه سلطان أمريكا أيضاً وتصبح اليمن مضطرة إلى الخضوع لما خضعت له جاراتها العربية من سلطان هؤلاء الأقوياء .

وأما مصر والسودان ، فمن الذى يجهل سلطان بريطانيا فى أحد شقيه ، وهو مصر ، إنه سلطان قد ظلت السياسة البريطانية تمهد له منذ ستين عاماً بكل أسلوب من أساليبها فى اتخاذ الصنائع ، وإضعاف الأخلاق ، وابتزاز الأموال ، وفتح أبواب الهجرة لصعاليك الأمم ، وقذف الأرض بكل سخافة من سخافات المدنية ، وحجبها عن كل جد وكل عمل يراد به خير هذه البلاد. وأما السودان ، فلم يزالوا به حتى كادوا ينتزعونه جملة واحدة ، وحتى قسموه إلى جنوب وشمال ، وحتى حرموا على أهل الشمال أن يخالطوا أهل الجنوب ، وحتى حرموا على أبنائه أن ينالوا قسطهم من العلم والحرية والتجربة فى هذه الدنيا المملوءة بالعلم والحرية والتجربة .

وأما برقة وطرابلس فقد انتهت بهما الحرب إلى أن صارتا تحت سلطان بريطانيا المباشر ، ولا يدرى أحد ماذا يجرى فيهما هناك الآن على وجه التحقيق ، ولكنهما على كل حال تحت سلطان بريطانيا وشريكتها أمريكا .

وأما تونس والجزائر ومراكش فهى أسوأ بلاد العربية كلها حالا بوقوعها تحت سلطان فرنسا . وفرنسا هذه أمة أهل جبروت وحماقة وجهل ، فهى تتخذ العسف وتصطنع القسوة فى كل عمل تعمله فى تلك البلاد . ولكن ليس يدرى على وجه التحقيق ما الذى تضمره بريطانيا وأمريكا لفرنسا وحكمها فى تلك البلاد . أتريد حقاً أن تؤازر فرنسا مرة أخرى على استعادة بعض مجدها وسلطانها فى هذه الدنيا ، وبذلك يزداد طغيانها وبغيها على أهل تونس ومراكش والجزائر ؟ أم تراهما يريدان أن يحتالا حتى يزيلا فرنسا عن تلك البلاد ليفرضا معاً عليها سلطاناً بريطانياً أمريكياً — إما متعاونتين وإما منفصلتين ؟ ومهما يكن من شيء فالذى فيه هذه البلاد اليوم ، أو الذى يخشى أن يقع عليها غداً هو أن السلطان الأجنبى هو السائد فيها قوة واقتداراً .

فأنت ترى غير مرتاب أن هذه الأمة العربية التى تعيش فى كل هذه البلاد العربية ، قد أصبحت هدفاً لأطماع دولتين متحدتين فى أغراضهما وأهدافهما : هما بريطانيا وأمريكا . فهل يشك فى هذه الحقيقة أحد ؟ كلا ولا ريب ، وإذن فنحن أمة واحدة مقسمة اليوم إلى أمم متعددة تواجه فى الميدان جبهة واحدة لها أغراض لا تختلف ولا تفترق . وهذه الجبهة الواحدة لم تزل تتعاون بأسلوب بعد أسلوب فى تنفيذ أغراضهما فى كل بلد من بلادنا ، وتتآزران على فرض سلطانهما مجتمعاً أو مفترقاً ، وتتوسلان إلى ذلك بالوسائل التى تتاح لكل منهما فى كل بلد من هذه البلاد

فالآن وقد تبين أننا أمة واحدة مقسمة إلى أمم ، وأننا نلقى عدواً واحداً هو بريطانيا وأمريكا مجتمعتين يضربان بسلاحهما غدراً هنا وهناك وثمة بلا رحمة ولا شفقة ولا إنسانية ، فقد أصبح لزاماً علينا وفرضاً لا مخلص لنا منه أن ننظر إلى الحقيقة الواحدة التى لا يختلف عليها إلا من نزع الله من قلبه البصيرة الهادية إلى سبل الرشاد ، ألا وهى الاتحاد التام فى لقاء هذا العدو .

ومنذ سنوات أجمعت طائفة من أمم العرب على تكوين الجامعة العربية ، واشترطوا فى الأمة التى تصير عضواً فى هذه الجامعة أن تكون مستقلة . ومعنى ذلك هو الاستقلال المعترف به دولياً ، لا الاستقلال الحقيقى ، فإنهم لو طلبوا ذلك لما كان فى الجامعة العربية عضو واحد من هذه الأمم التى ذكرنا . فالجامعة العربية كما هى الآن لا تفى البتة بحاجة العرب ، ولا تقوم على الأساس الصحيح الذى ينبغى أن تقوم عليه . نعم إن الجامعة العربية لم تقصر فى الدفاع عن حق العرب جميعاً تقصيراً تلام عليه ، وهى تبذل غاية جهدها فى صد عدوان المتدين عليها ، وتبذل أقصى جهدها فى أم المشاكل العربية ، وهى مشكلة فلسطين التى سوف تكون يوماً ما ، أول شرارة تنطلق فى تاريخ العرب الحديث لتنير لنا الطريق السوى الذى ينبغى للعرب أن يسلكوه .

ولكن لا بد منذ الآن أن تعمل الجامعة العربية على ضم سائر البلاد العربية الأرض والسان ، لتكون شعوب هذه البلاد كلها جبهة واحدة ، ذات سياسة واحدة ، وأهداف واحدة ، وقيادة واحدة ، حتى نلقى فى الميدان ذلك العدو الواحد المتآزر على هلكة العرب ، وهو بريطانيا وأمريكا . وإنه لا معنى لأن

تبقى فلسطين وتونس ومراكش والجزائر وبرقة وطرابلس غير ممثلة فى جامعة الدول العربية تمثيلا صحيحاً كسائر الدول العربية ، فإن مهمة الجامعة هى أن تعمل على أن تجعل هدفها الأول أن تتخذ كل وسيلة لضم شتات العرب فى هذه الدنيا ، كما فعل اليهود من أهل الأجناس المختلفة فى توحيد قيادتهم وجعل قضيتهم قضية واحدة ، وهم معتدون على أرض ليست لهم ، ونحن أهل أرض واحدة نملكها نحن العرب ملكا لن ينازعنا فيه أحد .

وليس من الرأى ولا من الحكمة أن نترك هذا العدو الواحد يلقانا فى أكثر من جهة واحدة وهو صاحب القوى الطاغية الباغية ، وأن نظل نحن متفرقين ليس يجمعنا نظام واحد تحت قيادة واحدة تعمل لهدف واحد هو تحرير البلاد العربية كلها جملة واحدة من هذا النير المضروب عليها . وكما قلت من قبل إننا شعب واحد ، وقضيتنا قضية واحدة ، فلا معنى لأن نجعل هؤلاء يتلعبون بنا ، ويقسموننا ويفرقون بين قلوبنا ، ويشغلوننا حيناً بهذه القضية ، ثم يعملون فينا حتى نيأس ، فإذا بقضية أخرى تستنفد جهودنا ، ثم أخرى ثم رابعة . كلا ! هذا فساد فى الرأى وضلال قديم قد جربناه فألفيناه وبالا علينا ونقضاً لقوانا وتمكيناً للعدو من أنفسنا

إنه لابد من تجديد النظر فى شأن الجامعة العربية ، فإن العرب قد هبوا بعد هذه الحرب من رقدة طالت عليهم ، وهم مقبلون على العالم شعثاً غبراً كما أقبل آباؤهم من قبل ، وهم ينظرون إلى مدنية عظيمة قد بلغت غايتها وهى اليوم فى سبيل الانحدار إلى الهوة العميقة التى طمرت فيها مدنيات سالفة لم تكن أقل منها شأناً ولا أضعف خطراً . وينبغى أن تعلم جامعة الدول العربية ، أو الجامعة العربية ، أن عملها ليس سياسة محضاً بل هو أيضاً حض وتحريض وبعث لهذا الجيل من الناس المعروف باسم العرب ، حتى تتم يقظته وحتى يعرف أى شىء يستقبل وأى شىء يستدبر ، ليرث هذه المدنية التى أوشكت أن تزول عن وجه هذه الأرض .

إنه قول جرىء ، ولكنه حق ملء السمع والبصر ، حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلنأخذ أهبتنا قبل أن تأتى الساعة التى نضطر فيها إلى العجلة التى كان لنا عنها مندوحة ، إن كل عربى قد فرض عليه واجب هو أقدس الواجبات فى هذه الدنيا — ألا وهو الأمانة التى يرث بها الأرض ويكون فيها خليفة يصلح فيها ولا يفسد ولا يسفك الدماء ولا يأكل حقوق الناس بالبغى والعدوان . والجامعة العربية إذا بنيت على هذا الأصل وقامت على هذه الفكرة ، فقد أدت للبشرية أكبر خير أدى إليها على وجه الدهر ، وقد استنقذت حضارة الإنسان من الهلاك المحقق على يد الجنس الأوربى ، بل لعلها لم توجد فى هذا الوقت من هذا العصر إلا لتؤدى هذه المهمة وحدها بعد أن تجمع شمل العرب وتقف بهم صفاً واحداً يقاتل طغيان عدوها المستبد الذى يلقاها بسلطانه الجائر ، ويقاتل أيضاً ذلك السلطان الذى انفجر من ملتقى القارتين ، أوربة وآسية ، لكى يكون دماراً لنفسه وللحضارة الأوربية الفاسدة المضحلة .

ونحن العرب — فيما أرجو — لن نباع منذ اليوم فى سوق الرقيق التى يسمونها « هيئة الأمم المتحدة » ، فقد عرفنا بالتجربة كيف فعلت هذه الهيئة فى مسألة فلسطين وسواها من عربدة القوى الذى أطارت صوابه نشوة السلطان المسكر .

محمود محمد شاكر

على ثلوج (حِزرين)

للأســتاذ علي الطنطاوي

- ٣ -

قال :

بدأت هذه القصة منذ أربعين سنة ، ولم تكن هذه الضهور(١) موحشة مقفرة كما تراها اليوم ، ولم يكن القصر مهجوراً خرباً ، بل كان حافلا بالأنس ، فياضاً بالنعيم ، يمرح فيه الصِّبا ، ويضحك الطهر ، وإن كان قد خلا من هيبة السلطان ، وهجره الجند والأعوان ، بعد ما قضى بـ (مذبحة عين داره)(٢) الأمراء التنوخيون سادة الجبل ، ودالت دولتهم وذهبت أيامهم ، فلم يبق لسيدي الشيخ ناصر رحمه الله (مشيخة) بعدهم على هذي البقاع ، وكان هو (شيخها) وحاكمها — فما خلا من النبل والفضل ، ولا هجره العافون ولا الوافدون ، بل كانوا يؤمونه أبداً فينصرفون وقد حفِل وطابَ كل واحد منهم بما يشتهي وما يريد من مال الشيخ ومن طيب قلبه ، ونبل نفسه ، وإشراق وجهه ، فكان مجده في عزلته أكبر من مجده في إمْرته .

وكانت ربّة القصر قد مضت جميلة طاهرة كزنبقة الجبل ، شابة ناضرة كطلائع الربيع ، وكانت تنشر عطر الحب أينما سارت فتترك حبّها في كل قلب ، فلما تولت أبقت في كل قلب أعطر الذكريات ، وأحرّ اللوعات ، ورعى سيدي الشيخ عهدها ، وحفظ ودّها ، فلم يحلّ محلها من قصره أو فؤاده امرأة غيرها ، ووقف نفسه على ولديها : علام وليلى ، فكان لهما من بعدها أباً وكان لهما أماً ، ولم يكن في القصر امرأة إلا أنا ، وكنت غضة الإهاب ، ريّانة الشباب ، فكنت أقوم على خدمتهما وتربيتهما .

وكنا نعيش سعداء لا ندري ما الهموم ، ولا نسأل عن الغد ، كنا كالمسافر يقف على العين الباردة ، يتمتع بالماء العذب ، والظل الظليل ، ثم يسير لا يحمل معه قربة من ماء ، ولا يتزود زاداً ، لأنه لا يعلم أن الطريق أمامه شمس كله وعطش وجوع وضلال ، ولا بدّ له من سلوك هذا الطريق ...

كانت حياتنا كالبركة الساكنة ، ولكن الأيام ألقت في بركتنا حجراً كبيراً ، أزعج سكونها ، وعكر ماءها ، فلم تصفُ من بعدُ أبداً ، وكان الحجر الذي رمتنا به الأيام غلاماً قذراً حمله سيدي من أزقة بيروت ...

وهنا تبدأ القصة التي أروي لك مقاطع منها ، لأنها لا تروى كلها : ومن يستطيع أن يروي قصة حب ، بكل ما فيها من عواطف وأفكار ، وآلام وآمال ؟

إن النفس البشرية أعمق من البحر ، فمن دخل البحر غرق فيه فلم يخرج منه ليخبر عما رأى ، ومن وقف على الشاطئ لم يلمس منه إلا الزبد الذي يحمله إليه الموج ، وإن أعظم القصص التي كتبها الأدباء ، لم تكن إلا زبداً يلقيه الموج إلى الشاطئ ، أما اللجة الكبرى فلم يصل إليها قلم أديب ، ولا غاص على جواهرها ، ولا وصل إلى عجائبها .

هل رأيت الأفق عند الغروب ، والشمس تلونه كل لحظة بلون ، تخلق فيه عجائب لم تعرفها الأرض ثم تبيدها وتأتي بغيرها ، وتخط فيه خطوطاً سحرية بألوان ما عرفها الفنّ ثم تمحوها وترسم سواها ، كذلك النفس البشرية ، إنها تبني وتهدم في (الثانية) من الأفكار والعواطف ، والخواطر والتأملات ، ما يعجز أدباء الأرض جميعاً عن حبسه في القرطاس . فكيف يصف حياة امتدت أربعين سنة ، من عجز عن وصف حياة ثانية واحدة ؟ وكيف يصوّر ألوان النفس الخفية من لم يستطع أن يصوّر ألوان الأفق الظاهرة ؟

إن الأدباء لم يأخذوا من قصص الحياة إلا حوادثها ، وما الحوادث ؟ ما خطرها ؟ إنها جسم القصة ، فهل رأيت محباً يقتل حبيبته ثم يعانق جسدها يحسب أن الجسد هو الحبيبة ؟

هذا ما يصنعه الأدباء !!

* * *

أروي لك حوادث هذه القصة وأدع لك أن تفهم ما وراءها ، وأن تلمس بيد بصيرتك روحها حتى لا تكون جسماً بلا روح ،

(١) الضهور جمع ضهر : وهو ظهر الجبل من على لبنان الفصيح .
(٢) يسأل عن خبرها الرجل الذي لم يبق من سلالة الأمراء التنوخيين إلا هو وآله فهو ذو الامارتين : إمارة الأدب وإمارة النسب ، صديقنا أبو قيس عز الدين علم الدين التنوخي .

وأن تسمعها بأذن نفسك لا بأذن رأسك ، فإن النفوس متشابهات وربَّ إشارة أو كلمة أدلُّ عند النفس من كتاب ضخم عند العقل

بدأت حوادث هذه القصة يوم عاد سيدى الشيخ من بيروت راكباً فرسه ، إذ لم تكن قد وطئت حرم الجبل الأشم هذه السيارات ... وقد لفَّ عباءته على غلام وضمه بين يديه لا يبدو منه إلا رأسه ، فلما وصل كشفها عنه فإذا غلام (شحاد) عمره نحو عشر سنين ، وسخ الجسم ، قذر الأسمال ، فقال لنا :

— إنى وجدته فى رأس بيروت يهم بأن يلقى نفسه فى البحر فحملته معى

وجعل الولد يتفلت منه كأنه قط وحشى يريد أن يفر من الصياد ، فشد يده عليه ، ودفعه إلىَّ وقال لى :

— خذيه فأطعميه .

ويا ليته تركه يرمى بنفسه فى البحر ، أو يا ليته خلّاه ليهرب ولا يعود ، إذن لما شقينا به ولما شقى بنا أربعين سنة كوامل ، لم نستمتع فيها بشباب ، ولم نعرف فيها السعادة ولا الاطمئنان .

وسحبته من ذراعه ، وهو يحاول التملص منى ، ويعضُّ يدى ، وينطحنى ويثبت قدميه مستمسكا بالأرض كالتيس العنيد ، حتى بلغت به المطبخ ووضعت له الطعام فأكل أكل من لا يخشى الفزر[1] ، فلما شبع عدت به إليه — وكان يحدث الولدين ويدفع إليهما هداياه التى طلباها منه : القيثارة للصبى والسوط المرصع اليد للبنت — فلما رأته ليلى ، قالت :

— بابا . إنه قذر .

ورحمته . أما علام فقد أبغضه منذ اللحظة الأولى .

فقال لى سيدى الشيخ :

— خذيه فأغسلى جلده ، وألبسيه .

ففعلت فرأيته قد استحال إنساناً آخر ، وخيل إلىَّ أنى لمحت على وجهه وميض نبل قديم ، فلما أنعمت النظر فيه وجدته قد انطفأ وعاد وجها عاديا لغلام وضىء رائع المحيا .

وعدت به إلى الشيخ ، فسر به وقال :

— لقد أسميته (هانى) وجملته منى كولدى .

ونظرت إلى الولد فأبصرت عينيه ندمان ، ثم رأيته يسرع إلى الشيخ فيخبىء وجهه فى طيات جبته ويبكى ، يعبر بالدمع عن الشكر الذى يقصر عن التعبير عنه اللسان .

وكانت ليلى ترمقه باسمة ، أما علام فكان يأكل قلبه البغض ويجلل وجهه الغضب .

* * *

ومرت الأيام ، وألفته ليلى إذ كان فى مثل سنها وألفها ، أما علام فلم تزده له الأيام إلا كرهاً ، وكان الشيخ قد اشترى لكل من الثلاثة فرساً ، فأقبل علام يوماً على هانى وكان يساير بفرسه ليلى ، فقال له آمراً :

— انزل عن الفرس وهاته ، فإن فرسى قد أصابه العرج .

فأبى ، فسبَّه وأخذ الفرس منه قسراً ، وآلمه عدوانه عليه ، وأنساه كرم الوالد أصله ، وأنه لقيط من الطريق ، وأن (علام) هو الولد والوارث والفرس فرس أبيه ، وأنه أكبر منه سناً ، وأقوى ساعداً ، فهجم عليه يريد أن يسترجع الفرس منه فضربه علام على وجهه وصدره ، ثم أخذ حجراً ضخما فرماه به ، فشجه وكاد يقضى عليه ، لولا أن أقبلت ليلى تدافع عنه بسوطها ، تنزل به على وجه أخيها حتى حجزته عنه ...

فى هذه اللحظة ولد المخلوق الجبار الذى اسمه الحب .

أشفقت عليه ، وشفقة الفتاة على الفتى الجميل بذرة الحب تختفى فى قلبها ، فلا تحسُّ هى بها ، كما تختفى حبة الصنوبر الصغيرة فى حدور الجبل تطؤها الأقدام ، وتتجاوزها الأبصار ، ولا يدرى بها أحد ، ثم لا تلبث أن تكون شجرة باسقة الفرع ، ممتدة الأصل ، شامخة الهام .

وجعلت تواسيه فيمرض عنها ، يستحى رجولته (الصغيرة) أن تراها كليمة مهزومة ، وهى تلح عليه ، حتى قالت له :

— هلم نقطف (أزهار الجبل) .

فأبى . فرفعت ذيلها وانحنت له متشبهة بالمقاتل على عادتهن فى تلك الأيام ، فاستلت بدلالها غضبه ، وابتسمت فأنارت بابتسامتها قلبه ، فأطاعها وغلبت أنوثتها رجولة الرجل ... ولا تزال المرأة غالبة ما حاربت بالأنوثة ، فإن زهدت فيها وحاولت أن تجارى الرجل فى ميدانه ، وتسابقه فى حلبته ، وتقاتله بسلاحه ، اصطكت ركبتاها ، وكلت قدماها ، وعجزت يداها ، وسقطت .

---

(١) الفزر من العامى الفصيح وفى الشمائل : (كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر) .

ومسحت دمه ، وعصبت جرحه ، وأركبته فرسها ، ومشت به الهوينى ، تلقى فى أذنه كلاماً من كلام الطفولة العاشقة ، يرفعه فى عين نفسه ويحقق فيه عندها ما تتمناه هى فى رجل أحلامها ، ولكل بنت حلم ولو كانت بنت عشر ، ولا يخلو حلم بنت من رجل ، ولو كان (رجلا) ابن عشر ! حتى إذا اقتربا من هذه الصخرة التى تراها قائمة على شفير الوادى ، كأنها قلعة من قلاع الجن ، أمامها خندق لا تبلغ قرارته الشياطين ، ولا تصل إلى ذروته الردة ، قالت له :

— اسمع ما أنت بالوضيع ولا اللقيط ، أنت سليل الأمراء التنوخيين ، أنت الذى نجا يوم (عين دارة) وهذا قصر أجدادك .

فنظر مشدوهاً ، وقال : هذه صخرة !

— قالت : كلا . أنعم النظر إنها قصر أجدادك ، وهذا الفارس الأسود بالباب يمنعك من دخوله فخذ هذا السيف واعد إليه فاقتله ، اعُدُ ... اعُدُ ...

— قال : هذا سوط !

فصاحت متحمسة ، وضربت الأرض دلالا بقدمها ، وانتثر شعرها الذهبى ، وزادها الغضب جمالا على جمالها ، فأراه غضبها الصخرة قصراً ، والسوط سيفاً ، وأى رجل لا تخدعه الحيلة عن الأوهام حتى يراها حقائق ، ولا يندفع من أجلها إذا دفعته إلى المهالك ؟

وعثر به الفرس ، وكاد يهوى إلى الأعماق المظلمة ، ولكنه قفز إلى الأرض ، وانطلق يقارع بسوطه الهواء ، وهو يرى أنه يجالد الفارس الأسود ، حتى إذا قتله ... مسح سيفه من دمه ... ووضع قدمه على عنقه ... وصرخ بها صرخة الظافر ، فأقبلت إليه وقالت :

— أنت الملك ، وأنا أمتك .

— قال : بل أنت مليكتى .

وانحنى أمامها فقبل يدها ، وذهب يقطف زهور الجبل ليصنعها لها تاجاً ...

ونما الحب الوليد فجأة ، فكانت له قوة هذه الصخرة وسموها ، وله طهارة هذه الثلوج ونقاؤها ، وله خلود هذه الجبال وبقاؤها .

***

قال صديقى :

وسكتت العجوز حيناً ، ثم قالت لى :

— انظر إلى ما تحت قدميك .

فنظرت وإذا أفتن منظر وقعت عليه عينا سائح وأبدعه .

قالت :

— هذا هو المشهد الذى كنت تراه فى ظلام الليل أسود مخيفاً ، يبعث الرعب ، ما تبدل ، ولكن غابت عنه الشمس فاستحال جماله قبحاً ، وكذلك الدنيا : تكون فى عين سوداء وفى عين بيضاء ، وتكون يوماً حلوة حبيبة ، ويوماً مرة كريهة ، ولقد اسودت دنيانا منذ مات سيدى الشيخ ، وغربت عنها شمسه المضيئة فشملها الظلام ، وذهبت منها حلاوة نفسه ، فصارت مرة لا تطاق .

تبدلت هذه (الدنيا) مذ مات ، وشب الصغار ؛ فلم يعد فى القصر ثلاثة أطفال يلعبون قد ساوى بينهم كرم الوالد ، بل سادة وخدم ، وظالم ومظلومون ، صار علام سيد القصر ، فكشفت منه السيادة عن نفس عبد ، وأظهر السلطان منه طبع سوقة ، فاستبد بأخته واستأثر بالخير من دونها ، وجعل هانى خادم الاصطبل ، وسائس الخيل ، يمسك له فرسه ، وينحنى له ليضع نعله الدنسة على كتفه ليركب ، ويعدو معه فى ركابه ، ويذيقه ألوان الذل ، ويتعمد أن يحمله صنوف الأذى ، وهو صابر من أجل حبه ، وهى ترى هذا فيقطع نفسها حسرات ، ويمزق فؤادها أن ترى حبيبها و(مليكها) ذليلا ممتهناً ، ولا تدرى ما اللذة ولا تعرف طعم الحياة إلا إذا غاب الأخ ، فهرعت إلى الصخرة تسبقه أو يسبقها إليها ، فألقت بنفسها بين ذراعيه ، ما تبالى حطة منزلته ولا وساخة بزته ، لقد كانت هذه الصخرة ملاذهما ، وعش هواهما ، يستندان إليها ، فإذا الصخرة التى كانت صماء خرساء ، قد عاشت بالحب ، وعدتها حياته الخالدة ، فصارت قلباً كبيراً أحنى من قلوب الأمهات ، ولساناً أحلى من ألسنة العشاق ، وعز كل شيء حواليها وغلا ، فالشمس عندها أضوأ فى عينهما من شمس القصر ، والليل أعذب ، والورد أعطر ، والثلج أطهر ، وكان يحس وهو معانقها أن هذه السفوح المتسلسلة إلى سيف البحر ، وهذه القرى المنثورة على السفوح ، وهذه الأحراج المطيفة بالقرى ، وهذه السواقى المنبثقة من الأحراج ، وهذه الذرى العالية ، وهذه الحدود المتتالية وهذا البحر المعظم الذى يمتد حتى يصعد إلى السماء أو تنزل هى إليه ، فيكون البحر سماء والسماء ماء — كل ذلك ملك له وحده!

وشعر بالقوة قد ملأت نفسه حتى كادت تتفجر نشاطاً واندفاعاً ، وبالعاطفة يكاد يتمزق من طغيانها قلبه ، وأنه لم يعد

يحتمل السكون والانطواء على نفسه بعد ما حركه الحب ؛ فهو يريد أن يصنع المعجزات ، أن يزيح الجبال ، أن يكون قائداً فيفتح بحبها الأرض ، أن يكون شاعراً فيملأ بتقديسها الأسماع ، أن يكون كاتباً فيخلدها بروائع الآداب : بكل مقالة هي أعظم من قلعة يشيدها ملك ، وأمتن منها بناء ، وأعلى ، وأبقى على وجه الدهر ، تتخرب القلاع وهي باقية ، وتنسى أسماء الملوك ، وأسماء قائليها درر في صحائف التاريخ ، وجمال للماضي ...

وتنالها من خمرة الحب مثل نشوته ، وتغيب معه في سكرة الغرام ، فتهمس وشفتاها على خده :

— هل في الدنيا أسعد منا يا هاني ؟ هل في الوجود متعة أعظم مما نحن فيه ؟

— فيقول : نحن الوجود يا ليلى ، نحن المحبة والمحبة سر الوجود . هذه الصخرة ما رست هنا منذ الأزل إلا لنأوي إليها ، هذه السفوح ما بسطت إلا لنطل عليها ، والقمر ما طلع من وراء الأفق إلا لينظر إلينا ، والنجوم ما أطلت من فرج السماء إلا لتناجينا ، والفلك كله يدور من حولنا . نحن قطب الوجود ، أنا وأنت يا ليلى . لقد كنا متحابين من قبل أن نلتقي ، وقبل أن نولد ، وسنبقى متحابين بعد أن نموت ، وهذا هو الحب .

الحب أن يعرف الحبيبة قبل أن تقع عليها عينه ، ويسمع باسمها أذنه : يعرفها في سبحات التأمل في ليالي الوحدة ، في ثوران الميل في أعصاب الشباب ، في خفقات القلب للجمال ، في تطلع الفكر للمجهول ، في فراغ النفس ، في صراخ الأعصاب ، في كل فرحة ، وفي كل ألم ، وكل ذهول . هذا هو الحب الضال الذي لا يعرف طريق الحبيب

ليس الحب ضمة ولا شمة ولا قبلة ، الحب أن يرى المحبوبة فيحس في نفسه جوعاً سماوياً إليها ، رغبة جامحة في أن يفتح قلبه ويضمها فيه ويضمه عليها ، الحب أن تفنى هي فيه ، وأن يفنى هو فيها ، أن لا يفرق بين الحبيبين الزمان ولا المكان ولا الميول ولا الأهواء ، فيكون أبداً معها ، هواه هواها ، وميوله ميولها ، ويكون في رأسه صداعها ، وفي معدته جوعها ، وفي قلبه مسراتها وأحزانها ، وأن تكون له ويكون لها ، وأن يدخلا معاً مصنع القدرة الإلهية مرة ثانية ويخرجا وقد صارا إنساناً واحداً ، في جسمين اثنين . فأين تروي جرعات اللذائذ الحسية هذا الظمأ الروحي ؟ ! إنها كالخل للعطشان ، يشربه فيحرق أمعاءه ، ويزيد ظمأه .

— فتقول له : يا ليتنا نموت الآن يا هاني ، حسبنا هذا من العمر . أو يا ليت الزمان يقف فلا يدور أبداً ، ولا نعود إلى القصر ولا نرى الناس .

— فيقول : ما الناس ؟ وما القصر ؟ كله باطل ! كل ما عند الناس أوهام ! الحق هنا ، هذا وحده الحق ، هذا هو الواقع ، هنا الدنيا !

ويعجز النطق ، وتضيق اللغة ، فيتكلمان باللغة التي يفهمها البشر كلهم ، لأن لغة البشرية ليست لغة أمم ولا أقوام ، اللغة التي ليس فيها إلا كلمة واحدة ولكن معانيها أوسع من كل ما حوت المعاجم ، اللغة التي لا يفهم الرجل عن المرأة ، ولا تفهم المرأة عن الرجل ، إلا بها : لغة القبل !

وتكون وسوستها الخافتة أبلغ من كل ما قال الشعراء

(البقية في العدد القادم)

علي الطنطاوي

٩ ـ تفســـــير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد

سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز فى الأحلام :

والأشياء التى تمثل فى الحلم بالرموز ليست كبيرة العدد ، وهى تنحصر فى : جسم الإنسان كمجموعـة ، والآباء ، والأبناء ، والإخوة ، والأخـوات ، والولادة ، والعرى — وثمت شىء آخر[1] . والتمثيل النموذجى الوحيد ، أى الذى يتـكرر ظهوره باستمرار ، لجسم الإنسان كمجموعة هو « المنزل » ، كما يقرر ذلك الفيلـسوف « شرنر » الذى أراد أن ينسب إلى هذا الرمز دلالة شاملة فوق ما يستحقها . والناس يرون فى أحلامهم أنهم يهبطون الدرج الخارجى للمنزل وقـد انتابهم شعور من الفرح أحيانا ومن الفزع أحيانا أخرى . والمنزل إذا كان أملس الحائط فهو يرمز إلى رجـل ، أما إذا كان يحتوى على بروزات وشرفات تصلح للتعلق بها فهو يرمز إلى امرأة . والأب والأم يظهران فى الحـلم على شـكل « إمبراطور » و « إمبراطورة » أو « ملك » و « ملـكة » أو أية شخصية عظيمة أخرى . أما الأبناء والإخوة والأخوات فإنهم يعاملون فى الحلم برقة أقل، فيرمز إليهم « بحيوانات صغيرة » أو « حشرات » . والولادة تمثل غالباً بإشارة إلى « الماء » ؛ فترى أننا إما نقع فى الماء أو نخرج منه ، أو ننقذ أحداً من الغرق أو ينقذنا منه ، أى أن العلاقة بين الأم والطفل تبـدو فى صورة رمزية . أما الموت فيمثل بالاستعداد للقيام « برحلة » أو « سفر » بالقطار ، بينما ترمز « الملابس » و « البزة الرسميـة » إلى العرى . وهنا ترون أن الخط الذى يفصـل بين التمثيل الرمزى والتمثيل التلميحى يميل إلى التلاشى .

ونحن لا يسعنا بجانب هذا الفقر فى الإحصاء إلا أن نعجب أيما عجب عند ما نرى أن أشياء كثيرة من التى تنتمى إلى أفق آخر من الأفـكار تمثل بعدد وافر من الرموز ، وهـذه الأشياء التى أعنيها هى كل ما يختص بالحياة الجنسـية من أعضاء التناسل والعمليات الجنسية والجماع . فـكمية فائقة من الرموز فى الأحلام عبارة عن رموز جنسية ، ومن هنا يختل التوازن إذ أن الأشياء التى تعالجها الرموز قليلة العدد بينما الرموز نفسها عديدة بشـكل غريب ، بحيث يمكن لـكل من هذه الأشياء القليلة أن يعبر عنه برموز كثيرة مماثلة تقريباً من الوجهة العملية . ولذا فإننا عند ما نقوم بتفسير هذه الرموز فإن هـذه الخاصية تتسبب فى جرح الشعور العام لأن هذه التفسيرات كلها تعتبر واحدة إذا قسناها بالأشكال المختلفة التى تمثل بها فى الأحلام . وهذا من غير شك لا يسر كل من يقدر له أن يعرفه ، ولـكن ماذا فى وسعنا أن نعمل ؟ .

ولـما كانت هذه هى المرة الأولى التى أتـكلم فيها عن الحياة الجنسية ، فإننى أجدنى مديناً لـكم ببعض الشرح عن الخطة التى سأتبعها فى معالجة هذا الموضوع . فالمحلل النفسانى لا يرى أى داع لأن يخفى شيئاً أو يلمح إليه بطريقة غـير مباشرة ، وهو لا يجد غضاضة فى الاهتمام بمادة غزيرة كهذه المادة ، وإنما هو من الرأى القائل بأن من الأصوب والأفضل لنا أن نسمى الأشياء بأسمائها الحقيقية آملين بذلك أن نأمن جانب التأويلات المختلفة . وإن كنت أتحدث إلى خليط من الرجال والنساء ، فلن يغير هذا من الموقف شيئاً . فليس هناك من العلوم ما يمـكن معالجته بطريقة تصلح لفتيات المدارس ، كما أن النساء الموجودات قد عـبرن بحضورهن إلى هـذه القاعة تعبيراً ضمنياً عن رغبتهن فى المعاملة كالرجال سواء بسواء .

والجهاز التناسلى للذكر يمثـل فى الحلم برموز كثيرة قد نستطيع أن نتبين فى معظمها وجه المقارنة بوضوح . فمثلا العدد المقدس « ثلاثة » عبارة عن رمز للجهاز بأكمله . أما الجزء المعروف منه وهو ما يهم الجنسين على السواء ، أعنى القضيب ، فيرمز إليه أولا بأشياء تشبهه فى الشكل أى طويلة منتصبة مثل « العصا » و « المظلة » و « الأعمدة » و « الأشجار » وما شابه ذلك . كما أنه يرمز إليه كذلك بأشياء لها مثله خاصية الاختراق ، ومن ثم إيذاء

---

(١) الأعضاء التناسلية . المترجم

الجسم أى الأسلحة المدبية من أى نوع كانت مثـل « المدية » و « الخنجر » و « الرمح » و « السيف » . والأسلحة النارية أيضاً « كالبندقية » و «الطبنجة» و «المسدس» يستخدم كثيراً لما لها من شكل يجعلها رموزاً صالحة للاستعمال . فنجد أن المطاردة بواسطة رجل مسلح بمدية أو بندقية فى آخرها حربة تلعب دوراً كبيراً فى أحلام القلق للفتيات الصغيرات . وربما كان هذا الرمز أكثر الرموز ظهوراً فى الأحلام ، وها أنتم الآن تستطيعون ترجمته من تلقاء أنفسكم . والاستعاضة عن القضيب بأشياء يفيض منها الماء مثل « الصنبور » و « الينبوع » وكذلك الاستعاضة عنه بأشياء لها القدرة على الاستطالة مثل « المصابيح التى تعلق على بكرة » و « الأقلام التى ينزلق فيها الرصاص داخل وخارج الغلاف » تعتبر من الرموز السهلة الفهم . ومما لا شك فيه أيضاً أن «المطرقة» و «قلم الرصاص» و «مبرد الأظافر» و « البنة » وغير ذلك من « الأدوات » عبارة عن رموز جنسية مذكرة من السهل جداً معرفة وجه المقارنة بينها وبين القضيب .

ولهذا العضو صفة خاصة (وهى جزء من ظاهرة الانتصاب) تمكنه من القيام من تلقاء ذاته غير مكترث بقانون الجاذبية ، وهذه الصفة تؤدى إلى أن يرمز إليه فى الحلم «بمنطاد» أو «طائرة» وأخيراً فقط « زبلن » . بيد أن الأحلام لها طريقة أخرى أشد غرابة فى الرمز إلى الانتصاب وذلك بأن تدمج العضو الجنسى فى الجزء الرئيسى من الشخص بحيث يرى الحالم «أنه نفسه يطير» . أرجو أن لا تقلقوا لسماعكم لأول مرة أن الأحلام الجميلة التى نعرفها كلنا والتى نرى أنفسنا نطير فيها ، يجب أن تفسر على أنها تهيج جنسى أو أحلام انتصاب ، فهذا التفسير قد أثبته أحد علماء التحليل النفسى وهو «ب . فيدرن» بشكل لا يدع مجالا للشك . هذا علاوة على أن « مورلى ڤولد » وهو رجل يثنى عليه كثيراً لأحكامه الرزينة ، قد أجرى تجارب كثيرة على أوضاع اصطناعية للأيدى والأقدام فوصل إلى نفس النتيجة مع العلم بأن نظرياته كانت تبعد فى الواقع كثيراً عن نظريات التحليل النفسى (بل لعله فى الحقيقة لم يكن يعلم شيئاً بالمرة عن هذا العلم) كما يجب عليكم أن لا تفكروا فى المعارضة باعتبار أن المرأة ترى أيضاً أنها تطير فى الحلم ، فالأفضل لكم أن تتذكروا أن الغرض من الأحلام هو إشباع الرغبات ، وأن الرغبة فى أن تصير رجلا كثيراً ما تقابل فى المرأة سواء شعرت بها أم لا . وفضلا عن ذلك فإن الشخص الذى له إلمام بعلم التشريح لن تستطيعوا التمويه عليه إذا قلتم له إنه من المستحيل على المرأة أن تحقق هذه الرغبة عن طريق إحساسات تشبه إحساسات الرجل ، لأنه يعلم أن الجهاز التناسلى للمرأة يحتوى على عضو صغير يشبه القضيب ، وهذا العضو الصغير ، المسمى بالبظر ، يلعب فى الطفولة وفى السنوات التى تسبق المباشرة الجنسية نفس الدور الذى يلعبه القضيب .

وهناك رموز جنسية مذكرة يصعب فهمها قليلا مثل « الأفاعى » و « الأسماك » ومثل الرمز المشهور « الثعبان » . كما أن من الصعب علينا فعلا أن نتكهن بالسبب الذى من أجله تستخدم « القبعات » و « المعاطف » بنفس الطريقة ، غير أن معناها الرمزى لا ريب فيه من غير شك . وأخيراً فإن لنا أن نتساءل إذا كان من الممكن أن نعتبر تمثيل القضيب بأحد الأعضاء الأخرى مثل اليد أو القدم تمثيلا رمزيا ؟ أظن أن سياق الحوادث وما نصادفه من الرموز المؤنثة المقابلة لذلك سيضطرنا إلى الاعتراف بهذه النتيجة .

أما الجهاز التناسلى للأنثى فيرمز إليه بكل الأشياء التى تشترك معه فى صفة الإحاطة بفراغ أو التى تصلح للاستعمال كأوعية مثل «الحفرة» و «الجب» و «المغارة» وكذلك «الجرة» و «الزجاجة» و « الصناديق » من مختلف الأحجام والأشكال ، و « الخزانة » و « الأدراج » و « الجيوب » وما شابه ذلك . و « السفن » أيضا تدخل ضمن هذا الاعتبار . وكثير من الرموز حرية بأن تشير إلى الرحم أكثر من أى عضو تناسلى آخر ، مثل « الدولاب » و « الموقد » وأهم من ذلك كله « الحجرة » . والتمثيل الرمزى بالحجرة هنا يرتبط مع التمثيل بالمنازل ، بينما « الأبواب » و « البوابات » تمثل الفتحات التناسلية . وهناك أيضاً مواد من أنواع مختلفة ترمز إلى المرأة « كالخشب » و « الورق » والأشياء المصنوعة منهما مثل « الكتب » و « الموائد » . أما من عالم الحيوان « فالقواقع » و « أم الخلول » يجب أن تدخل على أى حال ضمن الرموز المؤنثة التى لا يخطئها الظن . وأما من أجزاء الجسم نفسه « فالفم » يمثل الفتحة التناسلية ؛ بينما نجد أن

« الـكنائس » و « المعابد » بين الأبنية عبارة عن رموز المرأة . ومن هذا ترون أن هذه الرموز كلها ليست على درجة واحدة من سهولة الفهم .

والنهود كذلك يجب أن تدرج ضمن الأعضاء الجنسية وهى تمثل « بالتفاح » و « الخوخ » و « الفواكه » على العموم . أما شعر العانة فى الجنسين فيرمز إليه فى الحلم « بغابة » أو « أيكة » . وترجع العلة فى تمثيل الجهاز التناسلى للأنثى غالباً « بأصقاع » تحتوى على غابات وصخور ومياه إلى طبيعته التبوغرافية المعقدة ، بينما التركيب الميكانيكى الدقيق للجهاز التناسلى للذكر يؤدى إلى الرمز إليه بكل الأنواع المعقدة والتى لا يمكن وصفها من « الآلات » .

غير أن هناك رمزاً آخر للجهاز التناسلى للأنثى يستحق الذكر هنا وهو «صندوق الجواهر» بينما «الجواهر» و «الـكنوز» تستخدم فى الحلم كرموز تمثل الشخص المحبوب ، و « الحلوى » تقوم غالباً مقام اللذة الجنسية . أما التلذذ الجنسى الناتج عن اللعب فى الأعضاء التناسلية للشخص نفسه فيرمز إليه بأى نوع من أنواع « اللعب » ومن بينها (اللعب)[1] على البيان . والتمثيل

(١) آثرنا استعمال الترجمة الحرفية لـكلمة « Play » فقلنا اللعب بدلا من العزف حتى لا تبعد عن الغرض الذى أراده فرويد من إدخالها ضمن أنواع اللعب الأخرى .

الرمزى « للعادة السرية »[1] « بالانزلاق » و « التزحلق » وأيضاً « بجذب فرع من الشجرة » يعتبر تمثيلا نموذجياً . ومن الرموز التى تستحق النظر أيضاً « سقوط أو اقتلاع الأسنان » ومعناها المبدأى من غير شك هو الخصى كعقاب للادمان على العادة السرية . ومن الغريب أن عملية الجماع نفسها تمثل فى الحلم بدرجة أقل مما كنا نتوقع بعد كل هذا ، ولـكننا نستطيع أن نذكر هنا أنواع الرياضة ذات النغم المطرد مثل « الرقص » و « ركوب الخيل » و « التسلق » ، وكذلك « تعرض الإنسان للشدائد » كأن تدهمه مركبة كما أن فى إمكاننا أيضاً أن نضيف إلى ذلك بعض الأشغال اليدوية وكذلك التهديد بالأسلحة من غير شك

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

(١) الـكلمة المستعملة فى الأصل هى « onanism » ومعناها « الأونانية » أو سفح أو نان وهى أن يجامع الرجل المرأة ثم يفضى إلى الخارج لمنع الحمل . وسميت بذلك نسبة إلى « أونان » ابن النبى « يهوذا » وهو أول من مارس الجماع على هذه الطريقة كما يقال غير أن هذه الكلمة شاع استعمالها خطأ فى بلاد كثيرة بمعنى التلذذ الجنسى الذاتى (auto-etotism) بأنواعه المختلفة وأهمها النوع المعروف بالعادة السرية (masturbation) وقد نبه « هافلوك أليس » فى سفره العظيم « دراسات فى سيكولوجية الجنس » إلى هذا الخطأ فقال فى ص ١٦٣ من الجزء الأول للكتاب الأول ما يأتى : « يجب أن لا تستعمل « الأونانية » فى هذا المعنى إطلاقا ولو لسبب واحد فقط وهو أن طريقة « أونان » لم تكن لتلذذ الجنسى بل كانت مثلا من الأمثلة المتقدمة لعملية إخراج القضيب قبل الإنزال أو (Coitus interruptus) . » اهـ لذا آثرنا استعمال كلمة « العادة السرية » لأنها تؤدى المعنى الذى يريده فرويد أكثر من « الأونانية » .

رأى الأكثرية

فى السياسة الشرعية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

ذكر صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ رزق الزلبانى فى مقال له (السياسة الدستورية الشرعية) نشر فى عدد صفر سنة ١٣٦٦ هـ من مجلة الأزهر حكما فى رأى الأكثرية لا يصح أن يترك من غير أن تبين حقيقته الدينية ، لأنه يتعلق بأمر له خطره فى نظام الحكومات الدستورية الحاضرة ، وقد أخذت به الحكومات الاسلامية فى هذا العصر ، فتألف فى كل حكومة منها مجلس نيابى يقوم نظامه على الأخذ برأى الأكثرية ، وقد رأى فضيلة الأستاذ أن هذا يخالف السياسة الدستورية الشرعية ، لأنها توجب رد التنازع فيه بين أولى الأمر إلى الكتاب والسنة ، ولا توجب الأخذ برأى الأكثر كما توجبه الحكومات الدستورية فى عصرنا ، ثم ذكر أن ما درجت عليه الشريعة من ذلك أدنى إلى الصواب ، وأجدر بتحقيق المصلحة واتفاق الكلمة ، لأن الأكثرية قد تكون من حزب واحد ينصر بعض أفراده بعضاً فى الحق وفى الباطل ، فمتى شاء زعماء الحزب تقرير أمر ولو بباعث المصلحة الشخصية تبعهم الباقون من أعضائه ، فيصبح ما قرروا واجب الاتباع لأنه رأى الأكثر ، وإن كان ظاهر الضرر قبيح الأثر ، فتضيع المصلحة العامة ، وتتزعزع ثقة الأمة بأمثالهم ، وتجد الفتنة والتفرق طريقها إلى النفوس ، وفى ذلك الخطر كل الخطر ، وفى الرد إلى الله والرسول اطمئنان كل نفس وراحة كل ضمير ، وضمان وحدة الأمة وسيرها على صراط مستقيم .

ولا شك أن ما ذهب إليه فضيلة الأستاذ من رد التنازع فيه بين أولى الأمر إلى الكتاب والسنة هو ما جاء فى قوله تعالى فى الآية — ٥٩ — من سورة النساء (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) وقد ذكر المفسرون أن ذلك خاص بأمور الدين ، فهى التى يرجع فيها عند التنازع إلى كتاب الله عز وجل ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حياً ، فإن مات ردت إلى سنته ، فإن لم توجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله فسبيلها الاجتهاد ، وقيل الرد إلى الله ورسوله أن يقولوا لما لا يعلمون : الله ورسوله أعلم .

فأما أمور الدنيا فقد فوض الأمر فيها إلينا ، نحكم فيها بما فيه مصلحتنا ، ونرجع فيها إلى ما يراه أولو الأمر فينا ، كما قال تعالى فى الآية — ٨٣ — من سورة النساء ، (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فأدخل هنا أولى الأمر فيما يجيئهم من أمور الأمن والخوف ، لأنه من أمور الدنيا ، قال المفسرون : أولو الامر هم ذوو العقول والرأى والبصيرة ، أو أمراء السرايا والبعوث .

وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فى الآية — ١٥٩ — من سورة آل عمران ، فقال (وشاورهم فى الأمر) وقد اختلف العلماء فى المعنى الذى من أجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم ، مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحى عليه ووجوب طاعته على الخلق كافة فيما أحبوا أو كرهوا ، فقيل هو عام مخصوص ، والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد ، وذلك فى أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا ، لتستظهر برأيهم فيما تشاورهم فيه ، وقيل إنه أمر أن يشاورهم فى أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شىء ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم شاورهم فى أسرى بدر وهو من أمر الدين ، وقد اتفق العلماء على أن كل ما نزل فيه وحى من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الأمة ، وإنما أمر أن يشاور فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك

وقد مر النبى صلى الله عليه وسلم على قوم يؤبرون نخلهم ، فقال لهم . لو تركتموه لصلح . فتركوه ففسد ، فأتوا إليه فأعلموه بفساده ، فقال لهم . أنتم أعلم بأمور دنياكم

فهناك إذن أمور كثيرة لا يجب على المسلمين أن يرجعوا عند التنازع فيها إلى الكتاب والسنة ، وهى أمور الحكم التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيها ، لأنها هى محل الشورى ، وهى التى تؤلف المجالس النيابية فى الحكومات الدستورية للرجوع إليها فيها ، أما أمور الدين فشأنها فى ذلك

شأن القوانين الوضعية ، ولا شك أن وجود القوانين الوضعية لا يمنع من تأليف المجالس النيابية فى الحكومات التى تأخذ بها ، وكذلك لا يمنع وجود القوانين السماوية من تأليف المجالس النيابية فى الحكومات التى تأخذ بها ، لأن المجالس النيابية ليست محاكم تنظر فى مسائل القوانين السماوية أو الوضعية ، وإنما هى رقيبة على حكوماتها ، تعطيها ثقتها إن عدلت فى الحكم ، وتعزلها من الحكم إن جارت فيه

وقد سار النبى صلى الله عليه وسلم على الشورى فى حكمه ، حتى قالت عائشة رضى الله عنها : ما رأيت رجلا أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك أنه فى غزوة الأحزاب أراد أن يصالح عُيينة بن حصن والحارث بن عوف على ثلث ثمار المدينة ، فعرض ذلك على سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة سيدى الأوس والخزرج ، فقالا له : يا رسول الله ، إن كان أمراً من السماء فامض له ، وإن كان أمراً لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمعاً وطاعة ، وإن كان إنما هو الرأى فما لهم عندنا إلا السيف . فقال لهما : لو أمرنى الله ما شاورتكما . ثم اختار ما أشارا به ، ورجع عما أراده من ذلك الصلح

وإذا كان الإسلام قد جاء بالشورى التى تقوم عليها الحكومات الدستورية فى عصرنا ، فقد جاء أيضاً بالرجوع إلى رأى الأكثرية عند اختلاف أهل الشورى ، وبهذا لا يكون هناك خلاف فى هذا الأمر بين السياسة الدستورية الشرعية وغيرها من السياسة الوضعية ، بل تتفق السياستان فى الأخذ برأى الأكثرية فيما ثبتت فيه الشورى من أمور الدنيا كلها ، ومن بعض أمور الدين على ما ذهب إليه بعض العلماء فيما سبق

وقد أتى الإسلام بالأخذ برأى الأكثر فى غزوة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة ، وذلك حين اقترب المشركون من المدينة فنزلوا بذى الحليفة ، فجمع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال لهم : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن هم أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها

فقال رجال من المسلمين ممن كان فاته يوم بدر : يارسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا . وقال آخرون : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فو الله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا !

فانقسم المسلمون بذلك إلى فريقين : فريق على رأسهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيهم شيوخ المهاجرين والأنصار ، يرون البقاء فى المدينة ، وفريق أكثرهم من الشبان الذين لم يحضروا غزوة بدر ، وأرادوا أن يعوضوا مافاتهم منها بغزوة أحد، يرون الخروج من المدينة إلى العدو

وقد نظر النبى صلى الله عليه وسلم فرأى الأكثرية فى جانب الذين يرون الخروج من المدينة ، فلم ير إلا أن يترك رأيه إلى رأيهم، وإن كان يرى أن رأيه هو الأرجح ، لأنه قد أمر بالشورى ، والشورى تقتضى أن يأخذ برأى من يستشيرهم إن اتفقوا عليه ، فإن اختلفوا فيه أخذ برأى أكثرهم ، حتى تمشى الشورى على قاعدة مطردة ، وتجرى على منهاج معروف ، تجتمع عليه كلمة الأمة ، ولا تكون الشورى معه سبباً لانقسامها واختلافها ، وقد عمل النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك بقاعدة ارتكاب أخف الضررين ، لأن ضرر مخالفة رأى الأكثرية فى الخروج من المدينة أشد من مخالفة رأيه فى البقاء فيها . وقد بعث صلى الله عليه وسلم معلماً ومرشداً ، فضرب بهذا مثلا فى حكم الشورى ، ليأخذ المسلمون به بعده ، وتكون القاعدة فيه الأخذ برأى الأكثر عند الاختلاف فى الرأى

فكيف مع هذا يرى فضيلة الأستاذ أن الأخذ برأى الأكثر ليس من السياسة الدستورية الشرعية ، وفى الإسلام مجال واسع للأخذ برأى الأكثر ، وذلك فى كل ما يؤخذ فيه بالشورى من أمور الدنيا ، ومن بعض أمور الدين التى لا يوجد فيها نص قاطع من الكتاب أو السنة ، ولا شك أن تقييد الأخذ برأى الأكثر بذلك لا شىء فيه ، لأن المجالس النيابية فى الحكومات الحديثة لا يصح لها أن تتدخل فى كل شىء من أمور الدولة ، بل تقف سلطتها عند حدود لا تتعداها ، ولا تطغى بمجاوزتها على غيرها من السلطات التى تتألف منها الحكومة

وأما ما ذكره فضيلة الأستاذ من ضرر الأخذ برأى الأكثرية عندما تكون من حزب واحد فهو أمر قد يعرض لهذا النظام ، ولا يصح أن يؤخذ به ، كما لا يصح أن يؤخذ كل أمر نافع بسوء استعماله . بل يجب أن يعالج هذا فيه بما يصلحه

عبد المتعال الصعيدى

الفلسفة العربية وكيف تدرس

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

تمر الشرق العربى نهضة تشمل مختلف نواحى الحياة من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية . ولكى نسير بهذه النهضة إلى الأمام يجب أن نقيمها — ونحن فى بدايتها — على أسس وطيدة تلائم استعداداتنا العقلية وتقاليدنا الاجتماعية . وذلك يلزمنا بأن نتوجه إلى حضاراتنا العربية نبعث تراثها من جديد ؛ ونستكشف من بين ثنايا مخلفاتها مقوماتنا النفسية ، واتجاهات ميولنا الفكرية ، ومعاييرنا الخلقية ، وعاداتنا الاجتماعية . فيجب علينا أن نجد فى بحث تراثنا العربى لانترك فيه علماً أو فناً من غير أن نستوفى دراسته ، ونسرع فى نشر أبحاثه فى جميع أنحاء العالم العربى ، حتى يدرك كل عربى ما هى المبادىء المقومة لفكره ، وما هى الاتجاهات الثابتة التى ينزع إليها دائماً عقله ؛ فيأخذ فى تنمية مواهبه ، ويشـــغلها بالموضوعات التى تتفق مع نزعاته الفكرية الصحيحة ؛ وكل ذلك يؤهل الشعوب العربية لأن تقوم وتؤسس حضارة عالية تنشأ فى أحضان الأصول الروحية الشرقية وترتق بنضوج الخصائص الرئيسية لعقليتنا العربية ...

علينا إذن نحن العرب واجب مقدس نحو مستقبلنا الحضارى ، وهو أن نتعاون جميعاً على تحليل علوم العرب وآدابهم وفنونهم إلى عناصرها الأولية ، قاصدين معرفة محتوياتها وأصولها وبواعثها ومناحى مذاهبها . وأحسب أن تحقيق ذلك يتطلب دراية واسعة وفهماً عميقاً لكل التيارات الثقافية التى أثرت فى العقلية العربية ، حتى يمكننا أن نميز بين ما هو أصيل فى الحضارة العربية وما هو دخيل عليها ، ولذلك قبل أن نقدم على مثل هـذه الدراسات ، يجب أن نتزود بالزاد الثقافى الذى يمدنا للاشتغال بتراث العرب ، وأن نحدد لمختلف العلوم والآداب والفنون البرامج الثقافية التى تعين كل باحث فى تفهم مادة بحثه . وفى هذا المقال سأحاول أن أضع البرنامج الثقافى الذى أرى أنه يفيد كل من يرغب فى الاشتغال بالفلسفة العربية ...

نشأت هذه الفلسـفة فى بيئة ثقافية معقدة أشد التعقيد ، وتطورت فى ربوع شعوب متباينة الاتجاهات ، وتأثرت بحضارات متعارضة النزعات . فلقد كان العالم العربى يمتد من غرب الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً ، ويضم بلاد الأندلس والمغرب ومصر والشام وشبه جزيرة العرب والعراق وفارس وما وراء النهر ، فتلاقت ثقافات هذه البلاد وتمازجت ، كما تسربت إليها الأفكار الهندية ، وتأثرت بما ترجم من التراث اليونانى إلى اللغة العربية ، وأخذت عن الدين الإسلامى ، وعرفت تعاليم الدين المسيحى وتعاليم الدين اليهودى . فنبت التفكير الفلسفى العربى من فلسفة وتصوف وعلم كلام وترعرع فى كنف ذلك المجمع الثقافى والتحف الحضارى ، ونحن لا ندرى إلى الآن أى هذه الثقافات كان أقوى تأثيراً من غيره فى الفكر العربى ، وإلى أى حد كان أخذ العربى ومحاكاته لثقافات غيره من الشعوب ، ولا نعرف ما هو نصيبه الحق فى تراثه الحضارى ...

لكى نكشف عن حقيقة هذه المسائل العويصة ، يجب أن نسترشد بكل ما يقال إنه من العوامل التى أثرت فى كل من الفلسفة والتصوف وعلم الكلام إذ قد تدلنا على قسط كل ثقافة فى الحضارة العربية ، وتحدد لنا نصيب الفكر العربى فيها .

أولا : يلاحظ على الفلسفة العربية أن هناك من لم يقتنع بوجودها ، ويشك فى قدرة العقلية العربية على التفلسف ، ويرى أن الفلسفة العربية ما هى إلا خليط مشوه من الأفكار اليونانية لا نصيب فيها للفكر العربى ؟ وأن هناك من يدعى بأن للعرب إضافات مبتكرة تشهد بأن الفكر السامى فى قدرته أن يضع نظريات ويقيم كليات ، وأن هناك من يقول بأن هذه الإضافات ليست مبتكرة وإنما هى مأخوذة من الأفكار الهندية والفارسية ولكى نتوصل إلى الرأى الصواب ؛ يجب قبل أن نشتغل بهذه الفلسفة ، أن نجيد فهم الفلسفة اليونانية ، ونتتبع تاريخ تطورها من يوم ظهورها إلى أن ترجمت إلى اللغة العربية ، وأن نعرف مراحل تطور الفكر الفارسى من قبل نهضة زرادشت إلى أن استولى العرب على بلاد فارس ، وأن نلم بكل الديانات الهندية من هندوسية وبوذية سواء فى أصولها أو فى صورها التى وصلت إلى العرب . وبعد أن نحيط علماً بكل ذلك يمكننا أن نبحث فى الفلسفة العربية ، وأن نحدد موقف العقلية العربية منها .

ثانياً : أما عن التصوف فتضاربت الأقوال شتى المذاهب فى نشأته وتطوره ، فمن يرى أنه هروب من ارتباك الحياة السياسية وانحطاط الحياة الاجتماعية ، ورجوع الحياة الصوفية القديمة التى كانت فى الهند وفارس ، ومن يرى أنه محاكاة للرهبنة المسيحية ، وأنه استمد تفسيراته للأحوال الصوفية من أفكار الأفلاطونية المحدثة ، ومن يرى أن دين الإسلام برىء منه ، لأنه دين جاف لا يلين للعواطف الصوفية ، بينما يستند الصوفية دائما فى أقوالهم إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . فكل هذه الآراء تجبرنا وتلزمنا بأن نلم بالأصول الثقافية التى دعت إلى ظهور التصوف وساعدت على نموه ؛ وأن نعرف قبل أن نقبل على دراسته تاريخ الإسلام السياسى وأثره فى الحياة الصوفية ، وتعاليم الدين المسيحى ونظم رهبنته ومدى نفوذه فى العالم العربى ، ونظريات الأفلاطونية الحدثة ، ودين الإسلام وروح تعاليمه فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وتاريخ التصوف الهندى والفارسى .

ثالثاً : إن كان هناك من يؤكد بأن نشأة علم الكلام دعت إليها الحياة العربية ، وحاجتها للدفاع عن تعاليم الإسلام ، ومقاومة كل الحركات التى ناهضت الإسلام ، وعملت على تقويض نفوذه وهدم تعاليمه ؛ إلا أن هناك أيضاً من يعتقد أن علم الكلام كان مجرد محاكاة للجدل اللاهوتى المسيحى ، وأن حججه وبراهينه كلها مأخوذة من الفلسفة اليونانية . ولكى تمحن هذه المزاعم يتطلب منا أن نحيط علماً بمختلف التيارات الثقافية التى ناهضت الإسلام وتعاليمه ، وبنوع الجدل اللاهوتى الذى كان يدور بين المسيحيين ومدى شيوعه فى المملكة العربية ، وبالفلسفة اليونانية وطرق إقامتها للحجج وأسلوب جدلها المنطقى وروح براهينها .

نستنتج مما تقدم أن الباحث فى الفكر العربى لن يصل إلى شىء ذا خطر علمى ، ما لم يمون نفسه بالزاد الثقافى الذى يحتاج إليه ، حتى يكون دقيقاً عميقاً فى أبحاثه ، صادقاً مصيبا فى أحكامه ولكى نسهل عمل كل من يرغب فى أن يشتغل بهذا الفكر ، نخطط له برنامجاً ثقافياً ، عليه أن يستوعبه قبل أن يبدأ فى تناول أى بحث فلسفى عربى أياً كان نوعه ، ويتلخص هذا البرنامج الثقافى فى الخطوات الآتية : —

١ — أن يبدأ الباحث بدراسة تاريخ الفكر الفارسى ، وتاريخ الفكر الهندى فى أصولها ، ثم على حالتيهما اللتين وصلتا للعرب .

٢ — ثم يدرس الفلسفة اليونانية دراسة تفصيلية فى مختلف أطوارها ، منذ نشأتها إلى يوم أن نقلت إلى اللغة العربية .

٣ — ثم يدرس تعاليم الديانات السماوية الثلاث ، وهى الإسلام والمسيحية واليهودية ، ويدرسها أولا فى أصولها ، ثم على حالتها التى كانت عليها فى العصور العربية .

٤ — أن يتتبع تاريخ الإسلام السياسى ، ومدى أثره فى الحياة الثقافية .

وبعد أن يعطى الباحث هذه العلوم حقها من الدراية والفهم ، يسمح لنفسه بأن يتناول الفكر العربى بالبحث ، لأنه فى ضوء ثقافته هذه ، يمكنه أن يتتبع نشأة كل أنواع هذا الفكر ، ويتلمس أماكن ظهورها فى مختلف البلاد العربية ، ويدرك أدوار تطورها ، بل يمكنه أن يعين العوامل التى أدت إلى رقيها أو التى عاقت تقدمها ، وأن يوضح مكانة العقلية العربية ومدى تفاعلها مع الثقافات الأخرى . وكل ذلك يساعده مساعدة فعالة فى شرح تفاصيل الفلسفات العربية شرحا وافياً دقيقاً غير متأثر فى أحكامه بأى عاطفة سوى حب الحقيقة ، كما يساعده فى تحديد عناصر الحضارة العربية ومقومات روحها الحق .

عبد العزيز محمد الزكى
ليسانسيه فى الفلسفة

هذه الألفـــاظ الأثرية

للأســـتاذ أحمد رضا

تحت هذا العنوان كتب (الجاحظ) فى مجلة الرسالة الغراء كلمة وصف بها ما اخترته من الأسماء للمعانى المستحدثة الطارئة . فقال إنها ألفاظ أثرية مجفوة ميتة ، ولم أهتد إلى وجهة نظره فى توجيه هذا النعت .

ألأن هـذا المختار غير مألوف فى الذوق عنده أو عند أدباء هذا الدور من هذا العصر ؟؟ ولمـاذا ؟ والألفة الذوقية وحدها لا تـكون ميزاناً للوضع والاختيار ، وإلا لما كان من حاجة إلى الوضع ، ولا سيما إذ كانت الـكلمات المختارة فصيحة فى أصلها جارية على ألسنة الفصحاء زمن ازدهار اللغة ونموها .

وربما كان المألوف لك عامياً صرفاً أو أعجمياً ، فهل تفضله لمجرد الألفة وأنس الذوق به على الصحيح الفصيح لأنه غير مألوف ؟ والألفة وأنس النفس إنما يكونان بطول الصحبة وكثرة المزاولة فحيث تـكون كانتا .

أو لأن هذا المختار ألفاظ نابية فى السمع لتعقد تراكيبها ، وسماجة لفظها ، وتنافر حروفها ؟ ولست أشعر بشيء من ذلك فيما اخترته ولا نبه الناقد إليه .

انتقد [الدَرْمَك] للدقيق المُحَوَّر وهو لفظ فصيح استعمله فصحاء العرب بل جاء فى كلام أفصح من نطق بالضاد ، فقد قال صلوات الله عليه فى وصف الجنة « وتربتها الدَرْمَـك » وفسره ابن الأثير فى النهاية بالدقيق الحوّارى .

وأنـكر [الدَغْـرى] للحرب المفاجئة . وقد وردت فى كلام فصحاء العرب من غير استغراب ولا استهجان ولا نـكير « قالت امرأة من العرب لولدها : إذا رأت العين العين فدَغْرى ولا صَـفّى » تقول إذا رأيتم عدوكم فادغروا عليهم أى اقتحموا بغتة واحملوا ولا تصافّـوهم [كما فى اللسان والأساس والتاج] .

ثم هل ترى فى مادة (د غ ر) أو تركيب دغر شيئاً من تنافر الحروف ونبوّ المخارج أو ما ينفر منه السمع ، وهل فرق بينها وبين مثيلاتها كالدغم والرغم والوغم الوغر والرغد ، فهل رأيت أحداً يشكو منها ، أو يتأفف من مكانها فى اللغة ؟

انـكر إطلاق [الدَلَـق] على ثوب القضاة والمحامين ، والدلق دويبة كالسَـمّور تتخذ جلودها للفراء ، واستعير لثوب القضاة لأنه يصلَم به ، قال فى صبح الأعشى : الدلق ثوب متسع الأكمام طويلها ، مفتوح فوق كتفيه بغير تفريج ، سائل على القدمين ، يلبسه القضاة فى الدولة الأيوبية ، وهذا الذى أطلقناه على الروب .

فما ينـكر من هذه الـكلمة ؟ وهل مثلها إلا مثل الفلق والأرق والعلق والدمث فى هذا الشأن ، أوليست هى أولى بالاستعمال (وإن كانت معربة فى الأصل عن الفارسية) من الروب من حيث أن قدماءنا استعملوها ونحن نجرى مجراهم ؟

وتنكر للربِيذة وهى فى كتب الأئمة قمطر السجلات (أى المحاضر) وقد كان مجمع نادى العلوم فى مصر وضع لها (الملف) ولـكننى اخترت الربيذة لأنها أخص بالدلالة على المراد ، فهل الدوسيه الأعجمية خير منهما ، وهل التجافى عنهما وعن أمثالها واللجوء إلى الـكلمات الأعجمية الغريبة عن لغتنا ، يبلغ بنا الآمال فى تهذيب لغتنا ، وتطهيرها من الأدران .

وجئت بالـكِنْف لجزدان الطبيب ، وقد استعمله الراعى العربى فى أداته التى يضع فيها مبراته ومقصه ، والصائغ لأدواته ، والتاجر للخفيف من متاعه ، وها أنا أريده هنا لمقص الطبيب وسكينه وملقطه وقطنه ، فأى محذور فى ذلك سوى أن ذهن منتقدى الفاضل ولسانه لم يألفه مع أنه كلمة مفردة ثلاثية ساكنة الوسط وحروفها معدودة من الدرجة الأولى فى استعمال حروف الهجاء العربية .

وانتقد إطلاق الشوذر والعلق على القميص بلا كمين ، وقد نص الأئمة على أن الشوذر برد يشق ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير كمين ولا جيب ، وأن العِلْقة قميص بلا كمين ، أفلا تـكون إحدى اللفظتين خيراً من الشورت التى هى غريبة عنا وعن لغتنا ؟

وكذلك القنع للطبق الذى توضع فيه الفاكهة على الموائد ، (وقد أقره المجمع العلمى العربى الدمشقى واختاره على القناع لتقليل الاشتراك) وجاء فى الحديث أتيته بقناع من رطب ، قال فى النهاية ويقال القنع بالـكسر والضم ، وقال الأئمة القُـنع الطبق من عُسُب النخل يجعل عليه الفاكهة .

وقد كنت عارضت بعض ما وضعه مجمع اللغة العربية بمصر فى الأوضاع العامة بعد أن فسح المجال مدة سنة لمن يريد ذلك من الباحثين فى اللغة ، فاخترت مثلا الطِـرْز وزان علم على الطَـرَز وزان قلم للبيت الصيفى (الفيلا) والجناح مكان الشقة ، والحيفة

موضع البراءة وكلمات أخر ، فرد على فيها اللغوى النحرير الأب أنستاس الكرملى ، وناقشنى غيره فيها وفى غيرها نقاشاً لم يكن اعتباطاً بل كان مستنداً إلى الحجة والبرهان(١) وحبذا مثل هذا الجدال الذى يمحص الحقائق ويرشد إلى الصواب . وأرى فى مزيد إيضاح لهذا البحث :

إن كل عربى غيور على أمته ولغته ينظر ما آل إليه أمر اللغة الفصحى فى العصور المتأخرة حتى أواخر القرن الثالث عشر يجدها قد انهزمت انهزاماً مؤلماً أمام طغيان اللغة العامية المستعجمة منذ استولى سلطان الأعاجم على الدولة وملكوا قيادها . وإنما الرعية على دين ملوكها . حتى تمدى ذلك إلى المؤلفين من هاتيك العصور فتجد فى النجوم الزاهرة مثل قوله « وعندما يعزلونه من الوزارة يصبح يأخذ غلامه الحرمدان ويروح يقعد فى ديوان الإنشاء » ونجد فى نشوار المحاضرة ، من الكلمات الطارئة الأعجمية التى حلت محل مرادفاتها من الفصيح ما تنوسى معها الفصيح ولم يبق مألوفاً ، كالدقدان والكردناج والشاورغ والسكردان وغير ذلك ثم ما نرجو من زمن أو دولة زمامها بيد طرنطاى ومنكوتمر أن تنهض باللغة وتطهرها من مثل هذا الفساد وترجعها إلى ما كان عليه أولها من بلاغة فى الأسلوب ، وفصاحة فى الكلمات وعذوبة فى اللفظ ، ورشاقة فى المعنى .

آلم ذلك الكرام البررة أهل الغيرة على لغة الكتاب والسنة ، لغة البيان والبلاغة التى خص الله بها هذه الأمة النجيبة فكانت مفخرة من مفاخرها ، وآية فى إعجازها وإيجازها وبراعة أسلوبها ، آلمهم ذلك وهم يرونها فى هزيمة شنعاء أمام هذه اللغة الفاسدة القائلة فحاولوا تطهيرها من هذه الأدران ، وكانت محاولاتهم تعلو وتنحط وتذكو وتخبو ثم تتراجع بتأثير الزمان والمكان والأحوال الطارئة ، إلى أن قيض لها ثلة من الأبرار الأطهار من رجال مصر فى أخريات القرن الهجرى الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر للهجرة ، ودعا المرحوم عبد الله فكرى فى سنة ١٨٨١ إلى إنشاء مجمع لغوى فحالت دونه الثورة العرابية ، ثم دعا إليه ثانية فى سنة ١٨٩٣ فلبى دعوته العلماء البررة كالشيخ محمد عبده والشنقيطى والمويلحى وفتح الله وحفنى ناصف فلم يوفقوا كل التوفيق ، وقام نادى دار العلوم بالعبء ، حتى التأم السعى بنشاط الدولة المصرية لهذا الأمر ، فتألف مجمع اللغة العربية بمصر ، ونشطت قبل ذلك الحكومة الفيصلية بالشام ، فكان المجمع العلمى العربى ، وشعرت اللغة العربية منذ سرت هذه الروح الطيبة فى علماء سائر الأقطار العربية وعلى الأخص مصر والشام بانتعاش سيرجع بها إلى سيرتها الأولى إن شاء الله لولا مايعترض ذلك من تفنن بعض أدبائنا وتملقهم بالأساليب الأجنبية التى لا تتمشى مع استقلال اللغة ومميزاتها القومية الخاصة ، ولست أعنى بذلك أننا نجمد على القديم ، بل علينا أن نماشى التطور الذى لا يدفع بنا إلى نكران ميراثنا ، بل يعيننا على تحسينه وتهذيبه بما لا يذهب بمقوماته وخصائصه ، وهل يتم لنا ذلك ما لم نتقن لغتنا وخصائصها ، بياناً وأسلوباً ، ونعرف ما كان عليه قومنا الأولون فى نهضتهم الأولى ونجرى على سننهم .

نعم إن اللغة العربية غنية بمادتها بحيث تكفى ألفاظها لكل معنى مستحدث وفى كل غرض جديد ، كما يقول المنتقد الفاضل ، فهل اختيار الأسماء لهذه الطوارىء المستحدثة يؤثر فى أصل معناها المراد ، وإلام يرجع الناشد لهذا فى اختياره ؟ أإلى الكلمات القديمة التى استعملت زمن العرب ، وفى العصور الأولى ، عصور النهضة وقد نعى ذلك المنتقد الفاضل علينا وضرب لها مثلا بالدراهم والدنانير المضروبة زمن هارون الرشيد؟ أونصوغ لها ألفاظاً جديدة تكون من ضرب هذا العصر وليست من لغة القواميس العتيقة ؟

وهل ضر الدينار العراق اليوم كون اسمه ديناراً لأن الموضوع له حديث والاسم قديم من ضرب زمن الرشيد ؟

نعم ، إن على من يعنى بهذا الأمر ، وهو من أهله ، إذا سنح له الاختيار ، أن يختار الأخف الأعذب من الكلمات العربية التى هى أقرب فى معناها الأول الذى وردت به عن العرب إلى معناها المستحدث ، الذى يراد وضعها له . فإذا أغلق عليه ذلك ، ولم يوفق له ، ابتحى ناحية النحت والاشتقاق والتعريب فى الوضع ، ولا يتعدى فى ذلك كله طريقة الاقتراح ، فلا يبت فى شىء ما لم يقره أحد المجامع اللغوية ، التى لها القول الفصل ، فأن خرج الأمر عن هذا وعمل كل أديب أو من يشدو شيئاً من الأدب على ذوقه كانت هى الفوضى وأشكل الأمر ، والله الموفق للصواب .

النبطية : جبل عامل (لبنان) **أحمد رضا**

عضو المجمع العلمى العربى بدمشق

(١) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ج ١٦ : ١٨ ورد الكرملى ج ١٦ : ٣٨ وجوابى له ج ١٧ : ١٨٥ .



طلاب لهو وطلاب قوت وطلاب موت

كل أولئك رأيتهم في ليلة واحدة وفي شارع واحد لعله أكبر وأحفل شوارع عاصمتنا ، وكل أولئك قل أن يخلو منهم شارع من الشوارع الكبيرة في عاصمتنا العظيمة ...

أما طلاب اللهو فهم أخلاط حسب ما يبتغي كل لنفسه مما يلهو به أو يزجي به فراغه ، وأكثرهم بادون للأعين في غير حاجة إلى منظار فالشوارع بهم مكتظة ، ومنهم فريق هم طلاب اللهو الخفي والعياذ بالله لا يكاد يتبينهم المنظار حتى يرتد عنهم فراراً أو يختفوا هم عنه ...

وأما طلاب القوت فهم كذلك طوائف وأخلاط من الخلق ، ولكن دع عنك أصحاب الملاهي والمتاجر ، فهؤلاء في الحق طلاب ذهب لا طلاب قوت ...

وإنما أعني بطلاب القوت أولئك الذين « يسرحون » من بنين وبنات وفتيان وكهول بأوراق « اليانصيب » أو بالصحف أو بصناديق مسح الأحذية أو بصناديق الحلوى أو بأدوات الحلاقة أو السكائر أو غيرها ؛ ثم أولئك الذين لا تجد في أيديهم شيئاً من هذا وتراهم يتساقطون على الموائد تساقط الذباب ، أو يقعون على مقربة منها إقعاء القطط وغير القطط من الدواب ينتظرون لقمة أو يفتشون في قمامة أو يلتقطون ما يلقى من أعقاب السكائر ...

وطلاب القوت هؤلاء وبخاصة من يطلبونه بغير عمل قذى في العيون بأسمالهم وأذى للنفوس بألفاظهم ومماركهم وصخبهم ...

ولكن أكبر ظني أن ولاة الأمر قد اقتنعوا أنهم زينة ينقص بغيرهم جمال العاصمة نقصاناً كبيراً ، أو لعلهم أيقنوا أنهم باتوا بحق من ميراثنا القومي ومن تقاليدنا الأهلية ، فلو خلت الشوارع منهم بمعجزة من المعجزات لبثت الحكومة عيونها وأرصدت أعوانها حتى يأتوا بهم طائعين فيعود للعاصمة جمالها الذي غاضت بشاشته ورونقها الذي انطفأت بهجته ...

وأما طلاب الموت فأحسب ذهنك أيها القارئ قد وثب إلى أولئك الجنود الذين كانوا يدبون بالعاصمة كالجراد المنتشر ، ولكني لست أقصد هؤلاء . فقد أراحنا الله سبحانه من عفاريتهم الحمر والسمر والسود إلى غير رجعة إن شاء الله ...

وإنما طلاب الموت هم أولئك العظام الملقاة على طوارى الشارع ، والذين يعدون في الأحياء وهم من الموتى لولا أنفاس ضئيلة في صدورهم تتردد ...

رأيت خمسة من هؤلاء على مسافات متقاربة ، أما أولهم فقد تكور في ثيابه كالقنفذ وبجانبه زجاجة لعله كان يدور بها في نهاره على المستشفيات وتحسبه في الثمانين وقد لا يزيد عن الأربعين .

وأما ثانيهم فغلام في نحو الخامسة عشرة بسط إحدى ذراعيه على الأرض ووضع الثانية على بطنه ، حيث موضع الألم أو موضع الجوع وفي وجهه الذابل المتجه إلى السماء صفرة الموت وفي ساقيه أو في عظمتيه المدودتين فقاقيع حمراء مخيفة تشيع في صفرتها ، ولقد حسبت أنه لن يرى وجه النهار ...

وأما ثالثهم فكهل ضرير ناحل البدن ، خائر القوة تدور حول صدغيه من أسفل ذقنه إلى قمة رأسه لفائف بيضاء تحتها قطع من القطن ، ولعله قدم بها من إحدى «العيادات الخارجية» واستلقى هنا يطلب الراحة لبدنه بالموت ...

وأما رابعهم فشيخ تدل لحيته البيضاء ويداه المروقتان وجبينه المغضن على أنه جاوز السبعين ، وقد ألقى عصاه بجانبه ووضع تحت رأسه بعض العلب من الصفيح لعله كان يلعق ما ترك فيها من طعام .

وأما خامسهم فقد آلمني مرآه أكثر مما فعل مرأى سابقيه جميعاً فهو مقطوع اليدين والرجلين كأنه بقية تمثال قديم ، ولست أدري كيف يتحرك المسكين وكيف يأكل إن وجد ثمة من أكل !

وقلت لصاحبي ، وقد زفرت زفرة طويلة أترى الناس هؤلاء كما أرى ؟ فضحك وليس المجال مجال ضحك وقال أف لمنظارك ، فأجبته بل أف لهؤلاء الذين يملأون الصحف بأسماء المؤسسات والمبرات ، والذين يتكلمون كثيراً عن أوجه الإصلاح وأعمال المشروعات ...

ومضيت وأنا أسأل نفسي في أي بلد من بلاد العالم يجتمع فيه شارع واحد بين اللاعبين بالذهب وبين الذين يعيشون كما تعيش الكلاب والقطط ، والذين يطلبون الموت فلايظفرون حتى بالموت ؟ ...

الخفيف

في سيدي بشر

للأستاذ خليل شيبوب

سلوت أحلامي وآمالي فما كسبتني راحة السالي
وحينما عدت إلى العقل لم أجد بديل الحال من حالي
ما قيمة العقل أراني به أهتاج بالتفكير بلبالي

إن الورى حرب على جائع كما يريدون إلى السلم
كلامهم أسخف من صمتهم يجري على ألسنة عجم
هذا وذا ويل ألا إنهم كالببغاوات بلا فهم

يا خلجات الصدر طال الأسى وطال هذا الدق في صدري
إن كنت آليت لتحصين لي عمري لقد أفسدت لي عمري
فعلت في صدري بالدق ما تفعله القطرة في الصخر

نزلت سيدي بشر مستشفيا مما بصدري من أسى نازل
في جنة صيرتها عزلة ليس بها غيري من آهل
طريدة الجنات يثوي بها طريد هم لازب قاتل

ينعشها البحر بأنسامه تهب والشاطئ منها بعيد
هنالك الأقوام قد آثروا عيش اصطخاب وزحام عهيد
وههنا الأمن لمستنجد بالأمن من ذاك الصراع المتيد

صحراء إلا أن واحاتها معروشة الأشجار بين الرمال
مثل بقايا الحب في مهجة أحرقها اليأس وكر الليال
قد حفلت بالحسن داراتها واتسقت في صدرها كاللآل

تطيف بي منعرجات اللوى كل كثيب معقل ناهض
والرمل معقود الثنايا به يستمسك الرافع والخافض
ألقي بجسمي فوقه متعبا يثور فيه قلبي النابض

قلبي أداريه هنا ما كفا عليه وهو الهادئ الوادع
أخشى عليه رجعات الهوى إن الهوى أقتله الراجع
يلزم الصمت ولكنني روع لبي صمته الرائع

ألم تزل تذكرها بعد ما عرفتها في الحب خوانه
حبيبة كانت وزالت وهل تدوم للانسان إنسانه
والحب لو صفيته وازنا لرجح الزائف ميزانه

يا هذه لو ينفع العقل في (م) الهوى لحكمت لك العقلا
وهبتك العمر فلم تحسني أخذا له بل زدته خبلا
وإن حسن الأخذ فضل وما عرفت يوما ذلك الفضلا

لاحقني طيفك في عزلتي ماذا يريد الطيف من ناسي
ألا أرى لي راحة بعد ما (م) اعتصمته بالبعد عن الناس
إن ضلالي لي عين الهدى ووحشتي منبعث إيناسي

ياليل سيدي بشر رفرف على وجهي بشف من نسيم البحار
ينتعش القلب به بعد ما أوقد فيه اليأس أتون نار
روائح الأمواج والرمل في برديه تشفي من لهيب الأوار

ترمقني هذي النجوم التي فوق بعين الشاهد المشفق
والأفق مبهوت الحواشي به يختلط الأسود بالأزرق
والغيم قد راحت جماعاته طرائد الغرب والمشرق

وخيم الصمت فلا نبأة إلا قطار صافر يعبر
له صدى في الرمل ترجيعه هرير كلب جاثم يخفر
وغارت الأعلام في حلكة تحدجها العين ولا تبصر

ثم تراءى قمر طالع في الشرق خلف الغيم مستهلا
أكدر إلا أنه كلما علا صفت صفحته وانجلى
وفضض الرمل بأضوائه فرق ثوب الليل مسترسلا

يا رب هذي ساعة سرها يملأ نفسي فيضه الغامر
يكاد ينشق بها الغيب لي عما حواه العالم الآخر
إن كان نام الكون حولي فهل يكفيك منه قلبي الساهر

خليل شيبوب

تعقيبات

واحد من ثلاثة :

كتب إلى أديب فاضل يقول : « رأيتك أيها الجاحظ فى عدد الرسالة السابق تحمل على جريدة المانشستر جارديان فيما زعمته من أن أكبر عائق فى سبيل نشر التعليم بمصر ، وبالتالى فى تحقيق التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى ، هو الاختلاف الكبير بين العربية الفصحى واللغة العامية الدارجة ، ثم دعوتها إلى الانحدار بالفصحى إلى مدارج العامية ، ولكنك تغاضيت عن رأى مماثل أبداه الأستاذ أحمد أمين فى مقال كتبه منذ شهور بمجلة المستمع العربى التى تصدر فى لندن ، وزعم فيه أن جمهور الشعب فى مصر لا يصل إليه الأدب .. الذى يثقفه ويعلى مستواه ويرقى ذوقه ويهذب عواطفه ، وذلك لأنه ليس عندنا أدب للعامة وإنما كل أدبائنا للخاصة ، والسبب فى ذلك — كما يقول — هو وجود لغتين : لغة عامية ولغة فصحى . وأننا إلى الآن لم ننجح فى التوفيق بينهما . فماذا تقول أيها الجاحظ فى هذا الرأى الذى يراه شيخ من شيوخ الأدب فى مصر ؟ ! وكيف تسكت عن هذا الرأى يخرج من مصر ولا تسكت عنه إذ يأتى من أوروبا ؟ ! »

وأنا أحب أن أقول « للأديب الفاضل » قبل كل شىء إن الأستاذ أحمد أمين ليس من شيوخ الأدب ، وإن من الظلم أن نحشره بين الأدباء ، وإنما هو رجل باحث يتحلى بصبر العلماء ، فغاية ما تؤهله إليه مواهبه أن يعكف على مراجعة آراء السابقين ، فيقابل بينها ، ويرتبها ، ويعلق عليها بما يبدو له فى ثناياها ، وإنه ليظلم مواهبه ويتكلف الشطط إذ يزج بنفسه فى مضمار الأدب ، وإنه ليخرج على طبيعته خروجاً متكلفاً إذ يمضى على طريقة الأدباء ، فيمد بصره إلى « النظر فى النجوم » ، أو يجلس لمداعبة « صندوق الكتا كيت » ...

وإذا كان الأستاذ أحمد أمين يقول إن وجود لغة عامية ولغة فصحى هو العائق فى سبيل توصيل الأدب إلى العامة ، وأن الواجب ، كما يفهم من قوله ، أن نوفق بينهما ، فإنى لا أناقشه فى هذا الكلام ، ولكنى أسأله أن يتقدم فيأتى لنا بأسلوب خليط من العامية والفصحى لنرى أى شىء يكون هذا الأسلوب الخليط ، ولعله يوفق فى هذا فيكون صاحب طريقة فى الأسلوب تؤثر عنه ، وتعرف فيما بعد بالطريقة الأحمدية الأمينية ، كالطرق الجاحظية والعميدية والفاضلية التى عرفت فى أساليب الجاحظ وابن العميد والقاضى الفاضل ...

ألا رحم الله الرافعى ونضر قبره ، فقد كشف عن العلة فى هذا الرأى المريب إذ قال فى إحدى مقالاته : « إنى لا أعرف من السبب فى ضعف الأساليب الكتابية والنزول باللغة دون منزلتها . إلا واحداً من ثلاثة ، فإما مستعمرون يهدمون الأمة فى لغتها وآدابها لتتحول عن أساس تاريخها الذى هى به أمة ولن تكون أمة إلا به ، وإما النشأة فى الأدب على مثل نهج الترجمة فى الجملة الإنجيلية والانطباع عليها وتمويج اللسان بها ؛ وإما الجهل من حيث هو الجهل أو من حيث هو الضعف ، فإنه ليس كل كاتب ببليغ ، ولا كل من ارتهن نفسه بصناعة نبغ فيها وإن هو نسب إليها وإن عد فى طبقة من أهلها ، والكتابة صناعة لها أدواتها ، وفيها النمط الأعلى والأوسط وما دون ذلك ... أفمن الرأى أن نعين المستعمرين على خصائصنا ومقوماتنا أو نتخذ فى اللغة أديانا شتى ، أو نحمل قياس العلم من الجهل فى بعضه والضعف عن بعضه ، وإلا فماذا بقى بعد هذه الثلاثة مما ينفسح له جانب العذر إذا نحن قلنا بمذهب جديد فى اللغة ... !!

« أحسب إخواننا فى مصر أنهم كانوا يحسنون اليوم شيئاً من الكتابة الفصيحة لو لم يكن فى العصر الذى خلا من قبلهم أمثال السيد جمال الدين ومحمد عبده وعلى يوسف والبارودى والمويلحى وغيرهم ممن دفعوا الاستعمار عن اللغة ببلاغتهم وردوا أساليب السياسة اللغوية بأساليب الفصاحة ، وأشرعوا دون الميراث العربى أقلامهم ، وحاطوه بألسنتهم ، وحفظوه بعقائدهم حتى أمنوا عليه أن ينقص أو يمحق » ...

وبعد ، فتلك هى العلة ، وذلك هو الأصل فى هذه الدعوى المريبة ، وإن من دلائل الريبة أن تظهر هذه الدعوة وتتطاول بها رءوس دعاتها فى وقت يجاهد فيه أبناء العروبة لدعم الروح العربية وتآلفها وإقامتها رباطاً وثيقاً بين أبنائها وأقطارها فيأبى هؤلاء إلا أن ينقضوا ذلك الرباط بالدعوة إلى العامية ... والأمية ...

على أنى لا أتهم الأستاذ أحمد أمين ، ولكنى رأيته ينادى بدعوة مريبة فكان لابد أن أكشف عن الأصل فيها . وإنى لمنتظر من الأستاذ الفاضل أن يقدم لنا نمطاً من ذلك الأسلوب الذى يراه فى التقريب بين العربية والعامية ...

الفن للاشتراكية !!

تقول برقية من موسكو : إن الحزب الشيوعى قد قام بحملة فى الأشهر الأخيرة لتخليص الفن السوفيتى من آثار البرجوازية الغربية ، وتقول البرقية : إن هذه الحملة قد كللت بالنجاح ، فأصبحت الكتب والروايات والمراقص ودور الأوبرا والسينما وغيرها من معارض الفن مصبوغة بصبغة الجهاد الاشتراكى ، فهى لا تعرض إلا إلى إظهار سمو الوطن الروسى والدعاية للسياسة الشيوعية فى تذليل مصاعب الإنتاج والحياة المنزلية والشئون الدولية ، فإن جاوزت هذا الهدف فإلى إظهار الأخطاء التى ارتكبت فى معالجة هذه المسائل فى دول الرأسمالية .

وقد ذكرنى هذا الصنيع بما عمدت إليه النازية الهتلرية فى ألمانيا من قبل ، إذ أصدر « جوبلز » أمراً يحرم به على النقاد الحكم على الآثار الأدبية ، وطلب منهم أن يقفوا فى عملهم عند عرض الموضوعات وبسطها دون التعليق عليها أو إبداء الرأى فيها ، وقال فى تعليل هذا الصنيع : « إن الفن لا يفقد شيئاً إذا ما بعد أولئك النقدة الأغرار من الميدان ، إذ العظمة الزائفة تسقط من غير أن يسقطها النقد ، أما أصحاب العظمة الحقيقية فيجب أن يسمح لهم بحرية الابتكار والاحتفاظ بكرامتهم الفنية » ، والواقع أن ذلك الداعية النازى لم يكن يقصد بهذا العمل إلى حماية « أصحاب العظمة الحقيقية » وإنما كان يقصد إلى وضع الإنتاج الأدبى تحت سيطرة السياسة ، وتسخيره للدعاية النازية ...

وهذه محاولات باطلة ، لأنها مصادمة للأدب فى طبيعته ، ومصادرة له فى مهمته ، فإن الأدب — كما يقول مكسيم جوركى أديب روسيا الشيوعية — يجب أن يتلمس الإنسانية من جميع أطرافها ، وأن يخاطبها بالإخلاص المنبثق من أعماق الروح الطاهرة ، وأنت إذا ما نظرت ملياً إلى هذا الاتجاه ظهر لك الغرض الخطير الذى يقصد إليه الأدب ، وهو الذهاب بسائر الفروق ووجوه الخلاف والنزاع القائم بين الناس وإنقاذ الإنسانية من شر هذا التنازع ، والتغلب على قوى الطبيعة الغامضة الرهوبة ، ويوم يحقق الأدب ذلك يصبح دين الإنسانية جمعاء . ديناً يشمل كل ما حوت الكتب المقدسة فى عبادات الهند القديمة ، وفى كل ما جاءت به التوراة والإنجيل والقرآن ...

وما ذا يصير إليه الأدب أو يمكن أن يكون إذا ما عمدت كل حكومة فى كل دولة إلى جعله أداة مسخرة لأغراضها ، وحتمت على الأدباء أن لا يتكلموا ولا ينتجوا إلا فى حدود مرسومة وأغراض معلومة مثل رجال السياسة ، إنه لا شك سيفقد صفته الإنسانية ، ويصبح مثار الحزازات والخلافات ، ومبعث الأحقاد والمداوات ، ولن يكون الأدب أدباً يومذاك ، ولكنه سيكون الجحيم الذى لا يطاق ...

إن روسيا لا تخدم حياتها الفنية بهذا العمل ، ولن تستطيع إذا ما أصرت على هذا الصنيع أن تجعل أدبها صلة تربطها بالعالم الإنسانى ، وعن قريب سيفقد الأدب الروسى الروح الإنسانية التى تجعله قريباً إلى كل نفس ، حبيباً من كل قلب ، وإنها لخسارة على روسيا لا يعوضها أى نظام اشتراكى أو شيوعى فى الأرض ...

الفن للفن ، تلك هى الحقيقة الأزلية التى كان بها الأدب صورة للطبيعة الإنسانية ، أما الفن للاشتراكية أو لأى نزعة سياسية . فذلك لا يكون إلا فى تقدير الجشع السياسى ، على أنه تقدير لن يثبت أبداً

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

بشار في الإذاعة :

أذاعت محطة الإذاعة موضوعاً عن « بشار بن برد » أعد على النسق الذي تسميه « برامج خاصة » والذي يقوم على الرواية والتمثيل ..

وكانت المحطة قد أعلنت عن هذا الموضوع على أنه فاتحة برامج من نوعه تصور رجال الأدب والشعر الماضين ، ولا بد أنها أرادت بذلك أن تجدّ في عهدها الجديد ، وتقدم للمستمعين من محبي الأدب مادة نافعة تستميل على جذبهم إليها بحسن العرض في هذا النسق التمثيلي الإذاعي ؛ وهي رغبة محمودة ، ولكن هل تحقق المرجو منها ؟

بدأ (الراوية) يحدث عن نسب بشار ، واستمر يسرد بعض أخباره ، وقام الممثلون والممثلات في أثناء ذلك بتمثيل كل حال تنبيء عنها تلك الأخبار التي اختارها واضع البرنامج من أخبار بشار المنتثرة في كتب الأدب ...

وهذا الذي اختير وتألف منه الموضوع لم يكوّن لبشار الشاعر هيكلا حياً ، ولم يعط صورة صادقة لحياته وشعره ، بل كان أهم ما قام عليه البرنامج أن بشاراً نشأ صبياً يقول الشعر في شتم الناس فيضربه أبوه بالعصا ، وكبر وهو يهاجي الشعراء ، ثم يهجو الخليفة ووزيره ، مما أدى إلى اتهامه بالزندقة وضربه بالسوط حتى يموت . ويلخص (الراوية) حياة بشار بقوله في آخر البرنامج : وهكذا قضى حياته بين العصا والسوط !

وقد تعودنا أن نسمع اللحن أي الخطأ في نطق الكلمات العربية من إذاعتنا ... ولكن كنت أتوقع أن يتجنبوا هذا ويتحروا الضبط ويلتزموا صحة النطق في مثل هذا الموضوع الأدبي العربي البحت ، ولكنهم لم يفعلوا ... ولو تجاوزنا عن لحن الرواية وغيره فلا يصح التجاوز في ذلك لبشار نفسه ، فلا يليق به أن يلحن وألا يحسن ضبط شعره ، فقد آذى أسماعنا الذي مثله أو مثل به — بقوله في صوت مجاجل :

(ويحك) بضم الحاء .. وكررها في مواقف مختلفة متعددة ولما أنشد هذه الأبيات :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن ... برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها ... وما خير سيف لم يؤيد بقائم

نطق كلمة (نصيحة) في البيت الأول بالنصب ، ولفظ كلمة (الغل) في الثالث بفتح الغين .

وأكتفي بتلك الأمثلة ، وهي قليل من كثير ، لأذكر بعض الملاحظات في التأليف والتمثيل ، فقد ذكر أن « عبدة » صاحبة بشار أتت إليه في خمس نسوة يطلبن منه شعراً يندبن به قريباً لهن قد مات . والذي نعلمه أن عبدة كانت إحدى القيان المتأدبات اللائي كن يقصدن بشاراً ليسمعن شعره ، وكن يمابثنه ويغنينه ؛ ولعل هذا كان فرصة يحسن انتهازها في موضوع الإذاعة لتقديم إحدى المغنيات لتغنى قطعة رقيقة من شعر بشار .

ولم يكن من السائغ أن يرفع النسوة الخمس أصواتهن بضحكة مفردة وقد جئن حزينات على فقيدهن يطلبن شعراً لندبه .. ولم يكن من المقبول أن يقول أحد الذين جاؤوا يشكون بشاراً إلى أبيه لهجائه إياهم : « فقد برد أغيظ لنا من شعر بشار » قبل أن يقول لهم برد : إنه أعمى وقد قال الله تعالى (ليس على الأعمى حرج) وما أظن هذا الممثل كان يعي ما يقول !

وبعد فإذا كانت « البرامج الخاصة » التي تريد محطة الإذاعة أن تديمها عن أعلام الأدب ، ستكون على هذا المنوال ، فخير لها وللأدب ألا تستمر فيها ، بل يجب إعدام (تسجيل) بشار وعدم تكرار الإساءة بإذاعته

هنا كما هناك :

كتب الأستاذ فرج جبران في « الأهرام » من امستردام يصف زيارته للمعهد الشرقي في ليدن الذي يشرف عليه بعض المستشرقين ، فقال « وفي هذا المعهد يجد الزائر نفسه محاطاً بالكتب العربية ، ويسمع هؤلاء الأساتذة يتكلمون العربية ، ويسألونه عن أحدث المؤلفات التي ظهرت وعن أخبار المؤلفين المصريين وغيرهم من أبناء العروبة » ثم قال إنه يقصد إلى توجيه انتباه ولاة الأمور في مصر إلى مجهود ضخم هو وضع « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » الذي شرع فيه

المستشرقان ونسنك ومنسج ، ولكنه لم يتم إلى اليوم لأن إتمامه يحتاج إلى معاونات مالية وأدبية منتظمة ، وقال الكاتب : «وإن هذه المستعمرة العربية التي تعمل هنا في صمت دون أن يسمع عنها أحد لتتطلع إلى مصر ، رافعة لواء الأدب العربي في الشرق، لكي تقدم لها يد المونة »

وعلقت « الأهرام » على ذلك بدعوة وزارة المعارف إلى الاهتمام بهذا المشروع عن طريق مجمع فؤاد الأول للغة العربية « لأن وضع مثل هذا المعجم المفهرس داخل في اختصاصه وفقاً لأحكام المرسوم الملكي بإنشائه »

ولا أظن أن لدى المجمع من الجهد والمال ما ينفع في ذلك المشروع ، على أن الأعمال الداخلة في اختصاصه إنما يقوم هو « لا غيره » بها ، وفي المجمع نفسه مشروعات وأعمال لم تتم بعد، رغم مضى الزمن الطويل عليها ، كالمعجم الوسيط ، ومعجم فيشر ، ولا يتوقع تمامها للتقتير عليها في الجهد والمال

وفي غير المجمع أعمال أدبيـــة معطلة شملها بطء الأداة الحكومية ، كالكتب العربية التي كان يقوم بإحيائها القسم الأدبي بدار الكتب المصرية

فهنا كما هناك ، بل أكثر ، وإن كان لما هنا لون خاص ، يكسبه من التراخي مع وفرة الوسائل .

هل في مصر أديبات ؟ :

وجهت بعض المجلات اللبنانية هذا السؤال إلى قرائها ، فعلق عليه كاتب في مجلة « صوت المرأة » بأن هذا السؤال يحمل في طياته الشك في وجود أديبات بلبنان ، وقابل سؤال بسؤال مثله : هل في لبنان أدباء ؟ وهو يقصد بالأدباء الذين يشك هو أيضاً في وجودهم بلبنان — التاليين الذين ذكر وصفهم ، وقد نقلته « الكاتب المصري » في عددها الأخير ، كما نقلت عن مجلة « المرأة » الدمشقية ما كتبته بها « نديمة المنقبادي » في مثل ذلك قالت : « فالمجهود الأدبي يقوم الآن في كافة نواحيه على الرجل وحده ... أما المرأة في بلادنا فما أعتقد أنها سارت في ذلك شوطاً بعيداً أو قريباً ، وإذا حدث أن ظهرت مؤلفات أدبية لبعض الكاتبات فهي من الندرة بحيث تعد في يسر وسهولة»

وأنا أيضاً أسأل : هل في مصر أديبات ؟

أستطيع أن أعد نحو ثلاثين أديباً في مصر لهم شأن وأثر في العالم العربي ، فهل لدينا أديبات من هذا الطراز ؟ كدت أرجع عن هذا السؤال لأني ذكرت واحدة . . . ثم ذكرت أخرى (على سبيل جبر الخاطر) ولكني أصررت عليه لأن هاتين اثنتان وأنا أسأل عن « أديبات » وأقل هذا الجمع ثلاث . . . فهل من مجيب ؟

الاتحاد الثقافي المصري :

وأخيراً حل « الاتحاد المصري الإنجليزي » وتقرر أن يقوم على أنقاضه « الاتحاد الثقافي المصري » وهي فكرة موفقة من غير شك ، ولكنا لا نحب أن يعقب إشادتنا بفكرة الاتحاد الثقافي الجديد ما أعقب الإشادة بفكرة ذلك الاتحاد المنحل . .

والذي أعقب ذلك أن ارتمى بعض كبار المصريين من المستوزرين و « المتمهدين » في أحضان الانجليز ، فكان ما كان.

أما الذي نريده الآن فأن لا تعلو القيمة ثقافتنا ... عندنا قوم يروجون للثقافة الفرنسية ، وآخرون للانجليزية ، وغيرهم لغيرها؛ وهم يستهلكون أنفسهم في ذلك غير مرتكزين على قاعدة من الثقافة العربية

نريد أن تكون ثقافتنا هي ذات الحجم الأكبر الذي تنجذب إليه الأجرام الصغيرة .

الطالب يساهم في بناء عالم جديد :

نظمت جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة مؤتمراً للطلبة اشتركت فيه وفود الطلاب التي تمثل فروع الجمعيـة في الأقاليم . وكان موضوع هذا المؤتمر « الطالب يساهم في بناء عالم جديد » وقد ألقى الأستاذ محمد شفيق غربال بك وكيل وزارة المعارف كلمة في حفلة افتتاح المؤتمر ، أشاد فيها بفكرته ورجا أن تتسع في المستقبل حتى تشمل طلبة سائر الأقطار العربية ليتحقق بينهم التعاون الثقافي المنشود :

وفي اليوم التالي ألقى الدكتور ابراهيم سلامة محاضرة في موضوع « الطالب يساهم في بناء عالم جديد — في محيط الأسرة والنادي والجماعة » بين فيها واجبات الطالب في الأسرة من النواحي الاقتصادية والثقافية ، بأن يكون منتجاً ، فطالب الآداب — مثلا — يمكن أن يشتغل بالصحافة ، ويمكن الصحف أن تستعين به في تكوين معلومات تحفظ لديها (أرشيف) عن العلماء

والسياسيين وغيرهم من كبار الرجال .

ومن واجب الطالب أن يذيع فى الأسرة مايتلقاه فى المدرسة والجامعة من ألوان الثقافة والمعرفة ، وعلى الطالب والطالبة أن يسهما فى تربية الذوق الفنى فى الأسرة بإشاعة الهوايات الطيبة فيها كالرسوم والموسيقى ، حتى لا تشترى الأسرة السرور الرخيص من السوق فى أفراحها ومجتمعاتها ، وحتى لا يندفع الشاب إلى دور الملاهى اندفاعه الخطر على الأسرة من الناحيتين الخلقية والاقتصادية .

ثم قال الدكتور إن الطالب يمكنه أن يحدث فى النادى تفكيراً جديداً فى عالم جديد ، من حيث إزالة الفوارق لأن النادى تسوده الديمقراطية ، والديمقراطية الحقيقية أساسها نبل العمل لا نبل الوراثة ؛ ومن حيث الاحترام المتبادل بين الأعضاء المشتركين فى الفكرة والغاية ؛ ومن حيث المساهمة العقلية التى تتاح لها الفرصة فى النادى أكثر من المدرسة ، لأن عضو النادى يجد لذة فى إظهار المعرفة ، بخلاف ما يكون فى الجامعة حيث تدفعه المنافسة إلى الأنانية .

وقد عرض الدكتور سلامة لمسألة تعدد النوادى ، فتساءل: هل الأوفق أن يكون النادى لأبناء الثقافة الواحدة أو لأبناء الثقافات المختلفة ؟ ثم قال : تلك مسألة خطيرة لأنها أسفرت فى بلادنا عن تمزيق لا ينفع عالم اليوم ولا يمكن أن ينفع عالم الغد . وظهر هذا التمزق فى الأحزاب السياسية ، وجبر السياسيون هذا النقص بالبرلمانات ، فلا بد لنا إذن أمام تمزق النوادى من عمل اتحادات جامعة لكل مجموعة منها ابتغاء الانسجام وتكوين الوحدة التى تعتبر أساساً للقومية والعالمية ...

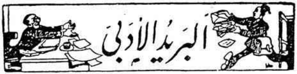
وانتقل بعد ذلك إلى واجب الطالب فى محيط الجماعة فقال : يخرج الطالب من الأسرة إلى النادى ومنه إلى الجماعة وهى هنا الوطن والقومية ، انتظاراً لإعداد النفوس للعالمية ، والطالب فى غمار الجماعة لا بد من أن يلتزم مبادىء ثلاثة :

(١) أن يلحم الاتصال بقومه وأن يعتز بمصريته ويعتقد أنها مدنية ككل المدنيات وأنه ليست هناك مدنية واحدة نموذجية تفرض فرضاً على مدنيته ، ومن هنا يتكون رأى عام للقومية السياسية والقومية الخلقية .

(٢) روح النظام ، والنظام أحياناً معناه الحرمان ، فتمثل غيرك فى كل تصرفاتك ، واعلم أنك ستؤذى غيرك بعملك الضار كما أنه سيقع إثمه عليك حتما .

(٣) الحرية المطلقة ، فلست حراً فى الأسرة ولا فى النادى ولكنك حر فى الحياة ، والعلوم تحرر الفكر من الأوهام ، ومتى تحرر الفكر تحرر الخلق ، ومتى شاعت الحرية أتى اليوم الذى يؤمر فيه الجندى بقتل أخيه الجندى فلا يفعل ، لأن الحرية التى فهمها ستضع عقله فى رأسه لا فى رأس السياسيين الذين يجرونه إلى الحرب كما تجر السائمة إلى المجزرة .

« العباسى »



الفروسية :

قال الإمام شمس الدين أبو عبد الله المعروف بابن القيم (إمام الجوزية[1]) فى كتابه (الفروسية) :

الفروسية أربعة أنواع :

أحدها ركوب الخيل والكر والفر بها . الثانى الرمى بالقوس . الثالث المطاعنة بالرماح . الرابع المداورة بالسيوف .

فمن استكملها استكمل الفروسية . ولم تجتمع هذه الأربعة على الكمال إلا لغزاة الإسلام وفوارس الدين وهم الصحابة (رضى الله عنهم) وانضاف إلى فروسيتهم الخيلية فروسية الإيمان واليقين والتنافس فى الشهادة وبذل نفوسهم فى محبة الله ومرضاته ، فلم تقم لهم أمة من الأمم البتة ، ولاحاربوا أمة إلا قهروها وأذلوها وأخذوا بنواصيها ، فلما ضعفت هذه الأسباب فى من بعدهم لتفرقها فيهم وعدم اجتماعها دخل عليهم من الوهن والضعف بحسب ما عدموه من هذه الأسباب ، والله المستعان !

قلت : لكل وقت سلاح و « السلاح ثم الكفاح »[2] ولكل وقت فروسية حاشى فروسية اليقين والإيمان فإنها لكل زمان ، والمدرسة العظمى (الجامعة الكبرى) لهذه الفروسية وتحصيلها وحذقها انما هى مدرسة [القرآن] . وقد كان أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم (رحمه الله) يقول لقائده قتيبة بن مسلم :

« خذ أهل عسكرك بتلاوة القرآن ، فأنه أمنع لهم من حصونك » .

وكان التالون يفقهون ما يتلون ، فيجسرون ويقدمون ذلك الاقدام ، ونفر الجن وتهرب الغيلان من قدامهم .

(١) المدرسة الجوزية فى دمشق بجنب قصر آل العظم فى البذورية جددت بناءها بعد احتراقها جمعية الإسعاف الخيرى فى دمشق

(٢) وقالوا أيضاً : « قد يجبن الشجاع بلا سلاح ، ويشجع الجبان بالسلاح » .

ثم صرنا — نحن معشر الخلف الصالح — نتلو (الكتاب) كتلاوة صاحب النخعى .

« قال رجل لابراهيم النخعى : إنى أختم القرآن كل ثلاث ليال .

قال : ليتك تختمه كل ثلاثين وتدرى أى شىء تقرأ ... » .

***

يا أيها العرب ، يا أيها المسلمون ، اقرأوا القرآن ، افهموا القرآن فهما صحيحاً عربياً لكى تبلغوا السماء قوة وفروسية وسطوة وعزة وسلطاناً وهناءة وسعادة ومجداً [أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها] !!!

السهمى

إلى الأديب محمد الديب :

يا أخى . أنا لا أوجب على كل قارىء أن يكون عنده نسخة من كتاب (العواصم من القواصم) ولكن أوجب على كل قارىء للرسالة فى مصر أن يكون عنده الداعى إلى البحث عن الرجل الذى جعله ينطق العربية ، ويدين بالإسلام ، وجعل بلده (بلد الأزهر) و (مقر جامعة الدول العربية) ، وصاحبة اليومين الخالدين فى إنقاذ الحضارة الإنسانية : (يوم عين جالوت) و (يوم المنصورة) ، والذى لولاه لكانت مصر اليوم مثل إيطاليا أو اليونان ، وأن يعرف هذا الرجل على حقيقته لا من كتاب العواصم والقواصم وحده ، بل كل كتاب ذكر فيه ثم يوازن ويحقق ويميز الصحيح من الموضوع ، وأن يؤلف عنه فى مصر من الكتب بمقدار ما ألف عن شكسبير فى إنكلترا ، ونابليون فى فرنسا ، وإن لم يكن لهما فى الدنيا درهم من كل قنطار من أثره الخيِّر فيها ، وأن يكون (يوم الفتح) ، أعظم عيد وطنى فى مصر بلا استثناء ...

أما كتاب العواصم (وما فيه إلا صفحة عن عمرو ، فيها تحقيق خبر التحكيم) ، فإنك حين تريد الاطلاع عليه حقيقة لا تجد أسهل من الوصول إليه ، لأنه مطبوع مملوءة بنسخه المكتبات . والسلام عليك أيها الأخ ورحمة الله وبركاته .

على الطنطاوى

إلى الأستاذ محمود عماد :

جاء فى كلمة الأستاذ محمود عماد فى بريد الرسالة (٧٣٠) قوله (وما الضمير الثانى إلا ضميراً قلقاً نابياً) على نصب (ضمير) وتأكيد النصب بالصفتين ، مع أن الصواب الرفع لأن الاستثناء يمنع عمل (ما). ولولا أن الأستاذ حريص على تصحيح كلام الناس ماصححت له هذه الكلمة . ولعلها من سبق القلم . وله تحياتى

(ع)

ما زال الضمير قلقا :

قلت فى كلمتى (ضمير قلق) المنشورة فى العدد (٧٣٠) من الرسالة الغراء ، إن الضمير الثانى المضاف الذى نراه هذه الأيام فى مثل قول القائل (هذه مسألة لها أهميتها) إنما هو ضمير قلق يفيد ملكية سبقه إليها الضمير المجرور باللام قبله . وقلت إنى لم أر مثله فى كلام عربى قديم ، إلا أن يكون غيرى قد رآه فيتفضل بالإرشاد

وقد انبرى للإرشاد الأستاذ محمد غنيم فقال إن هذا الضمير مطمئن (له أهميته) واستشهد على اطمئنانه بالآية الكريمة (لكم دينكم ولى دين) .

والذى رأيته بعد هذا الإرشاد أن الضمير مازال قلقاً ، ودليلى على قلقه قول الأستاذ نفسه ، تفسيراً للآية (أى أن دينكم مختص بكم ، لايتعداكم إلى غيركم ، ولى دين مختص بى لا يتخطانى إلى غيرى) .

فإن الاختصاص الذى أشار إليه الأستاذ فى الآية غير ملحوظ فى قول القائل (هذه مسألة لها أهميتها) ، وإلا فهل هو يعنى أن هذه المسألة مختصة وحدها بأهميتها ، وأن أهميتها لا تتعداها إلى غيرها من المسائل ، كما أن الكافرين مختصون وحدهم بدينهم ، لايتعداهم دينهم إلى الرسول الكريم؟ إن كان هذا ماعناه فما جدواه وقصاراه ؟ إن عمل الضمير فى الجملة غير عمله فى الآية . فلم يقصد من الجملة إلا أن المسألة لها أهمية مطلقة ، أى أنها مسألة مهمة فحسب ، لا قصر أهميتها هى عليها ، وعدم إشراك غيرها معها فيها ، كما قصرت الآية دين الكافرين على الكافرين .

فالضمير المصرى يفيد الملكية المكررة ، وضمير الآية يفيد القصر بعد الملكية . ولهذا مازال الضمير المصرى قلقاً فى رأيى ، وما زلت أرجو التدليل على اطمئنانه وصحته بمثال آخر من القرآن الكريم ، أو الكلام العربى القديم ، على أن يكون المراد بالمثال (الوصف) الذى أريد وحده فى الجمل المصرية ، لا (القصر) الذى لا موضع له فيها على الإطلاق .

محمود عماد

سؤال :

طالعت فى عدد الرسالة الأخير ذلك البحث القيم للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد تحت عنوان (من تجارب الزوائين) فرأيته قد جاء فيه بكلمة (الغيـورين) مرتين . فقال أولا : (إن الدكتور شبلى شميل قد استطاع أن يفعل ذلك لأن الغيورين على العلم والثقافة أعانوه على طبع المجموعة) وقال ثانياً : (ولكنى أقول إن الأغنياء الغيورين على الثقافة يستطيعون أن يقيموا المكتبات العامة) .

والذى تعلمناه أنه يشترط فى الصفة التى تجمع هذا الجمع أن تكون مما لا يستوى فيه المذكر والمؤنث مثل جريح وصبور وغيور . فإنه يقال رجل جريح وامرأة جريح ، ورجل صبور وامرأة صبور ورجل غيور وامرأة غيور . فهل عند الأستاذ الكبير وهو الحجة فى الأدب غير هذا فنستفيده منه ونشكره عليه ؟

(الزقازيق) محمد عبد المقصود هيكل



قصة الهواجس

للأديب مصطفى محمود

انفض الأصدقاء والصديقات وخلا « الصالون » إلا من سيدة البيت التي جلست منزوية في أحد الأركان وكأنها ما زالت تتحدث إلى صديقة وفية لم تشأ أن تتركها كما تركها الآخرون فجلست إليها تبادلها الهمس وتسر إليها كوامن الأشجان ... ولم يكن الحديث إلا حديث النفس تهمس به في ساعات الوحدة فتكشف به ما انطوى في أعماقها البعيدة .

هتف بها ابليس وقد وجد طريقه إلى عقلها الواعي

— ألست جميلة ؟

فرفعت رأسها إلى المرآة لتتأمل السحر الأسود الذي يكمن في عينيها الواسعتين والعقيق الذي يحتل شفتيها الرقيقتين وهتفت في ألم .

— نعم جميلة ... رائعة !

فأردف ابليس وقد وجد طريقه ممهداً

— وهذا الجمال ألا يذبل ؟

فقطبت حاجبيها وامتلأ جبينها بالتجاعيد وغاضت الدماء من خديها وطالعتها مئات من الصور البشعة ولم تجب ، فاسترسل ابليس وقد شاع الحزن في نبراته

— نعم إنه يذبل ... ويترك وراءه الأسى والأحزان .

ثم صمت فترة وتركها بين أشتات الهواجس . ثم عاد يقول:

— ولكنك جميلة الآن ... ألا ما أجمل هذه الكلمة « الآن » إنها الكلمة الوحيدة التي تحوي كل شيء ... فما أشد غفلة الإنسان حينما ينسى بهجة الحاضر ويتعزى بلذائذ الأوهام.

— جميلة ... وما الجمال ، ولماذا خلق ؟

— الجمال ولماذا خلق؟.وهل خلق الجمال إلا لاجتذاب الفراش

— الفراش ... يا للشرير ... حقاً لقد ذكرتني أنه لا يفتأ يتهافت علي كما يتهافت على النور الساطع ... ولكن هناك زوجي ... زوجي دائماً

— آه ، هذا الفراش العجوز الذي فقد جناحيه ، يا للمأساة كم أضحك حينما أراه يتودد إليك وأسمعه يفتح فمه الواسع الخالي من الأسنان ويقول « أحبك » ... كم يبدو بشعاً قبيحاً ثقيل الظل ... أليست هذه سخرية مريرة من سخريات الحياة ، أين هو من فهمي وصبحي وصفوت من هؤلاء الشباب ذوي الخدود الوردية والدماء الحارة .

— والضمير ... أنسيته ؟

— هذا المخلوق الهزيل الذي لا ينى يحدثنا بالأباطيل ويهرب بنا من الواقع ليجد كنفاً أميناً في أحضان الخيال والوهم ... إنه أشنع السخريات التي ابتكرها العقل ليحارب بها فطرة الجسم وطبيعته ... اني أربأ بك عن الخضوع لهذا المرض الذي يسمونه الضمير .

— مرض ؟! ... يا للبشاعة !

— نعم إنه مرض عقلي ... يقضي على كل راحة ولذة وصفاء وهناء في الحياة

وسكت الشيطان بعد أن أوقعها في أحابيله وتركها تعاني الوساوس وتتقلب بين نوازع الشر وتبحث في أعماق نفسها المضطربة عن اللاذ الأمين الذي تسكن إليه وترتاح إلى نجواه.. وأخيراً جاءها صوت الخير رقيقاً ملائكياً .

— أنت أيتها الباحثة عن اللذة ... هل وجدت لذة فيما سلف من أيامك .

— لا ... ما وجدت إلا الألم

— وحينما كنت تبلغين أمانيك

— كانت تبدو هزيلة أمامي وتفقد سحرها الماضي فلا يسعني ابقاء على اللذة وخيالها الحبيب إلا الاستسلام إلى أماني ورغبات جديدة .

— وهكذا ظلت حياتك رغبات وآمال كاذبة ، ولذة مفقودة لا تورث إلا الألم والحسرة .

— نعم هكذا ظلت دائماً ... رغبة جائعة نهمة لا تشبع .

— ولن تشبع

— نعم لقد بدأت أرى أنها لن تشبع

— وهكذا الحياة ... آلام تتفاوت مقاديرها ... فحسب العاقل أن يخرج منها بالقليل من الألم .. أما اللذة فهى غاية الأحمق ولن يحصل منها إلا على غاية الألم .

— لقد فهمت الآن .. فهمت الآن ... ما أجمل كلامك .. انك حكيم

وسكت الخير قانعاً وانطوى فى أعماق النفس بينما أخرج ابليس لسانه السليط وعاد يقول :

ولكن بالرغم من كل هذا الكلام فهناك لذة ... وأولى بالتمنيف أن يقول :

« إننى بائس » من أن يقول : « إن الحياة مليئة بالبؤس »

نعم صدقينى يا سيدتى إن الحياة مليئة باللذة وهى تنتظر إعادة من رأسك الجميل لتقدم إليك الحب ، تحية الجمال ، واللذة ثمرته اليانعة الغضة. فلا ترددى وتذكرى أن الزمن يرسم خطوطه الكريهة على الوجه الجميل ، وينزع السواد عن الشعور الفاحمة ويطفىء بريق الحياة من العيون المليئة بالحياة .

— كفى أيها الشرير ... كفى

— ويقوس الظهور التى لم تتعود ذل الإنحناء ويقتل الأصدقاء ويشتت الأحياء ، ويقدم الصاب والعلقم فى كؤوس الوحدة والسأم والمرض وأخيراً يفتح لنا باب القبر على مصراعيه ويهيل علينا التراب ... ذلك التراب الذى كنا نطؤه بأقدامنا .

— رفقاً بالنفس الضعيفة يا رسول السوء .

— وهو لا يرحم ... فأولى بنا ألا نرحمه ... وأن نقتله كسباً ولذة وحياة فعقارب الساعة لن تقف دقيقة واحدة من أجلنا والشمس لن تقف عن دورتها يوما لتعطينا فسحة للتفكير .

— أنت ... أنت هو العذاب والجحيم نفسه فكفانى من لهيب ألسنتك يا هاتف الشر .. فلو لم تتكلم لكنت الآن سعيدة قانعة راضية .. أما الآن .. فالويل لى من جحيم النفس .. الويل.

— عجباً من هذا الإنسان ومن منطقه الأعرج ... أدفعه إلى اللذة فيقول إننى ابليس اللعين ... ويسمع هاتفاً آخر يدفعه إلى الألم والعذاب والحرمان فيقول هذا ملاك الخير .. أليست هذه كبرى مهازل العقل .

وسكت ابليس وهو يبتسم ويرقب الصراع الأليم والعذاب يتجسمان فى ملامح المرأة التعسة والدموع تطفر من عينيها والعناء النفسى يبدو فى أصابعها الشاحبة الباردة وهى تتصلب وترتعد فى عصبية وسمعها تهمس وهى تبكى .

— حقاً ما أضعف الإنسان يشقى فى الحياة ويعانى حتى إذا ما سكن وهدأ واستقر .. شقى فى نفسه .

وتيقظ الخير من نومه العميق فقال فى نبراته الحزينة .

— نعم ... لقد أدركت الآن لم أجر ورائى مواكب الألم والحرمان لأنى أفضلها على مواكب الوهم .

وسكت هاتف الخير وهاتف الشر وغرقت أصوات النفس فى أصوات الحياة حينما امتلأت الحجرة بأشباح صغيرة .. وقامت المرأة المعذبة تمسح دموعها وتستقبل لوناً جديداً من ألوان الكفاح والعناء .

ومرت الأيام والشهور وتزوجت الشابة الجميلة من شاب جميل ... فهل ماتت الهواجس ... وهل حصلت النفس على راحتها ؟ لا يا سيدى ... إن قصة الهواجس قصة حية خالدة ما خلدت النفس فها هى صاحبتنا التعسة فى « صالون » آخر ربما كان أبهى وأجمل من زميله القديم ولكنها لا ترى هذا الجمال ولا تشعر به بل ترى بعين النفس وفى مرآتها عشرات من أشباح النساء الجميلات تلتف كالأفاعى حول الزوج الجميل .. وتسمع صوت ابليس يصرخ .

— إنه لم ينم هنا البارحة وتعلل بالأسباب والمعاذير . . . ولكن من يدرى فى أى أحضان قضى تلك الليلة ... يا لك من ساذجة ... لماذا لا تقابلين الخيانة بالخيانة ... إن أمين يتمنى لو..

وتكاد تضعف وتخضع حينما تسمع صوت الخير يهتف .

— يا للمسكين . لقد بات ليلته مسهداً يفكر فيك ويستعجل أنوار الصبح ليلقاك ... يا له من زوج وفى .

وتحار الزوجة التعسة وتتعذب ، وليست هذه هى المرة الأولى التى تحار فيها وتتعذب ... فقصة الهواجس تكون حياتها كما تكون حياة كل انسان وحياة كل نفس فما أشقى نفوسنا نحن البشر وهى تتمزق تحت ضغط القوى الهائلة التى ركبت فيها .

مصطفى محمود